جامعة الجلفة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تخصص : تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

دراسة مقارنة لتمويل حركة الاسترداد و الحملات الصليبية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالب
- فتيلينة الأزهاري

إشراف الدكتور :
- برق الأغويني

ـ أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د بن حاج ميلود	رئيسا
د. برق الاغويني	مشرفا و مقررا
د. كمال قمان	مناقشا

2024/2023م/1445-1444ه

الإهـــــداء

أهدي ثمار جهدي إلى من قال فيهم ربي :
" و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة "
والدي العزيزان أطال الله عمرهما و
إلى عائلتي

الطالب : فتيلينة الأزهاري

شكر و عرفان

قال تعالى : (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**) إبراهيم 07

وقال تعالى : (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) سبأ 13

اللهم لك الحمد حتى ترضى و لك الحمد حين ترضى و لك الحمد بعد الرضا ، اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك يا أرحم الراحمين

أتوجه بالشكر إلى الوالدين على تضحياتهم الجسام و إلى عائلتي على دعمهم و تحفيزهم

و إلى الدكتور المشرف برق الأغويني على إخلاصه و التزامه معي في إتمام هذا البحث

و الشكر موصول لكل من علمنا و لكل من له الفضل علينا

مقدمة

أهمية الموضوع :

تعد هذه الدراسة واحدة من المحاولات العلمية التي تبناها مجال البحث التاريخي بجامعة الجلفة .

و تناولت موضوعا احدى أهم فترات الدول الأوروبية الأكثر تميزا و إثارة في العالم المسيحي و هي دراسة بعنوان " دراسة مقارنة لتمويل حركات الاسترداد و الحروب الصليبية " و تتمحور حول فصلين أساسين و هما : الفصل الأول يتحدث عن تمويل الاسترداد والحملة الصليبية و الفصل الثاني عن مصادر تمويل الحملات الصليبية في الشرق الإسلامي.

و يمثل الفصل الأول عن الفترة التي أعقبت الانحلال الموحدي بالمغرب والأندلس بعد معركة العقاب قد عرفت توسعاً مذهلاً لحركة الاسترداد. فقد مال فيها التوازن كلياً لصالح النصارى، وتكالبت القوى المسيحية خلالها على جزيرة الأندلس من كل جانب، فكانت «فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين، واستبيح حماهم، والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهباً في الحرب، ووضيعة ومدارة في السلم. واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها».

وتمتد هذه الفترة حسب ابن خلدون حوالي نصف قرن من 622 إلى 670 هـ / 1225-1271 م.

وشكلت حركة الاسترداد والحروب الصليبية تاريخياً، فصلًا هامًا في تاريخ العالم الإسلامي والغربي، حيث شهدت هذه الفترة سلسلة من الصراعات العسكرية والسياسية التي استمرت لعدة قرون. وقد ترتب على هذه الحملات تكاليف هائلة، تطلبت تمويلًا ضخمًا وموارد استثنائية.

و تهدف هذه المذكرة إلى إجراء دراسة مقارنة لتمويل حركة الاسترداد والحروب الصليبية، حيث سنقوم بتحليل ومقارنة مصادر التمويل وطرق جمع الأموال التي استخدمتها كلا الجانبين. من خلال فهم كيفية تمويل هذه الحملات، نستطيع الحصول على نظرة أعمق إلى دوافع الأطراف المتصارعة والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الصراعات الطويلة.

ولأهمية تكوين الدول واستمرار وجودها، وبسبب ندرة وجود الدراسة تتناول الوجود الصليبي في الشرق وأسس قيام هذه الدراسة بشكل كامل من خلال تناول المرتكزات للحملات الصليبية القادمة من أوروبا، أو الحروب الصليبية التي قام بها الصليبيون في الشرق طوال فترات وجودهم.

و الفصل الثاني يمثل شهود الشرق الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري حركة غزو غربية، لم يشهد لها مثيلاً في العصور الوسطى، واتخذت هذه الحركة من الدين ستاراً لإخفاء ما تنطوي عليه من المطامع والأهداف، وتتمثل هذه الحركة في الحروب الصليبية.

كان لتلك الحركة ركائز اقتصادية طورها الأوربيون طوال فترة وجودهم في الشرق، فالمتتبع للوجود الصليبي يلاحظ هذا التغير والتطور في النهج الاقتصادي وأثره في الوجود الأجنبي في المنطقة وفترات ضعفه وقوته.

ولأهمية العنصر الاقتصادي في تكوين الدول واستمرار وجودها، وبسبب ندرة وجود دراسة اقتصادية تتناول الوجود الصليبي في الشرق وأسس قيامه الاقتصادية بشكل كامل، من خلال تناول المرتكزات الاقتصادية للحملات الصليبية القادمة من أوروبا، أو الحملات الصليبية التي قام بها الصليبيون في الشرق طوال فترات وجودهم، قام الباحث بتناول هذا الموضوع ودراسته دراسة مستفيضة، اعتماداً على ما توفر من مصادر أجنبية وعربية.

كانت عمليات التمويل ذات مفهوم أوسع من عمليات التموين، فضمت الدراسة جميع العمليات التي تشير إلى هذا المفهوم، فالتمويل الذي قدمته المدن الأوروبية خدمة للقضية الدينية، والذي قدمته المدن الإسلامية خوفاً من الصليبيين، وعمليات السلب والنهب والإتاوات جميعها، تدخل في مفهوم التمويل المشروع أو غير المشروع.

عرض أهم المصادر :

المصادر العربية :

د. سعد خليل الشعيبات في كتابه «مصادر تمويل الحملات الصليبية (488 – 648/ 1095 – 1250) يوضح أن انضمام الزعماء والأمراء والتجار الأوروبيين لهذه الحروب، لم يكن استجابة للنداء البابوي الذي أطلقه أوربان الثاني عام 1095، وإنما رأوا تحقيق منافع وغايات دنيوية لم يحققوها في الغرب الأوروبي في ذلك الوقت ، لذلك اعتمدت الحملات الصليبية الأولى على التمويل الذاتي من قبل الأمير والفارس والجندي، بغية عدم تقاسم المكتسبات المالية الشرقية مع أحد.

المصادر الاجنبية :

يتناول كتاب "Reconquest and Crusade in Medieval Spain" للمؤرخ جوزيف ف. أوكالاهان العلاقة بين الاسترداد (Reconquista) في شبه الجزيرة الإيبيرية والحملات الصليبية. هنالك بعض النقاط الأساسية التي يتحدث عليها الكتاب و خاصة حرب الاسترداد في الفترة الزمنية التي تمتد من الغزو الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية في 711 م حتى سقوط غرناطة في 1492. و تتميز هذه الفترة بالتأثير الثقافي و الاجتماعي و خاصة دمج الثقافات المختلفة وإعادة التوطين، لكن أيضًا فترات من الاضطهاد والتحولات القسرية، خاصة بعد سقوط غرناطة. و أيضا يتحدث عن الحملات الصليبية التي خاضتها الدول المسيحية أي الحروب الدينية التي أقرها البابا لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين، والتي أثرت أيضًا على الاسترداد في إسبانيا و أن الأخير (البابا) الذي منح الدعم اللا متناهي للحلفاء و منها منح صكوك الغفران و الدعم النفسي للمقاتلين. و يرجع هذا الدعم للعلاقات المتبادلة و الأهداف المشتركة في استرجاع الأراضي من المسلمين .

أسباب اختيار الموضوع :

في بداية بحثي و حتى خلال مرحلة متقدمة منه ، لاحظت نقصا كبيرا بل ندرة شديدة حول الكتابات العربية الأكاديمية التي تناولت هذه الدراسة ، فلم أجد دراسة مستقلة لها باللغة العربية إلا القليل و هنالك كتب الحروب الصليبية التي تتناول هذا نوع من الدراسات .

و من الاسباب الموضوعية لاختيار الموضوع الندرة في الاعتماد على دراسات المقارنة و هذا ما دفعني بشكل أساسي على خوض هذا التحدي العلمي .

الواقع أنه منذ أشار علي أستاذي المشرف بمدى أهمية هذه الدراسة و استحقاقها للبحث ، و تأكدت من ذلك عن الدراسة سمحت لي بتحقيق أهداف منها شخصية بمعرفة حقبة من التاريخ و أخرى علمية .

إن منهج البحث اتبعت هذه الدراسة منهج البحث التاريخي القائم على استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع الأجنبية، والعمل على تحليلها ومقارنة النصوص ببعضها البعض، لإخراج صورة تاريخية أقرب للواقع والحقيقة، وفي حالة وجود تباين في الروايات تُرجح الرواية الأقرب للحدث زمانيا ومكانيا، بالإضافة إلى منهج الوصف القائم على السرد التاريخي للمعلومات بالاعتماد على المصادر الأولية، وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابة التاريخية.

خطة البحث

تتشكل هذه الدراسة التي يغطى إطارها الزمني حوالي 488-648ه / 1095-1250م ، و مقدمة و فصلين و أتممتها بخاتمة ضمنتها كل ما توصلت إليه من نتائج .

مقدمة

الفصل الأول : تمويل الاسترداد والحملة الصليبية .

الفصل الثاني : مصادر تمويل الحملات الصليبية في الشرق الإسلامي.

خاتمة

الفصل الأوّل

تمهيد :

فرضت الحرب في الحقبة الصليبية ضغطًا شديدًا على مصادر إسبانيا المسيحية وتطلبت دعمًا ماليًا غير عادي. ومع ذلك، فإن الافتقار شبه التام للوثائق الرسمية يجعل أي دراسة مالية صعبة للغاية. على الرغم من أن **بيسون** قام بتحرير الحسابات المالية الكاتالونية لأواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، إلا أن السجلات المماثلة التي تشير إلى منتصف ولاحقًا من عهد **خايمي الأول**، إذا كانت موجودة، لا يزال يتعين عليها رؤية الضوء. مهما كانت السجلات التي تم الاحتفاظ بها في قباب ملك **قشتالة** وليون والبرتغال فقد اختفت منذ فترة طويلة. هناك أجزاء وأجزاء من الأدلة، ولكن بدون أي بيان شامل للدخل والنفقات، لا يمكننا معرفة مقدار الأموال التي تم إنفاقها على أي حملة معينة.

و بقدر ما سيتم الاستشهاد بعملات مختلفة أدناه، فمن الأفضل شرح تنوع العملات المستخدمة في الدول المسيحية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. كانت المصطلحات الرومانية القديمة، الميزان، **سوليدوس**، و **ديناريوس** لا تزال مستخدمة، لكن المصطلحات العربية دخلت حيز الاستخدام أيضًا. في تقليد الدينار الذهبي للخلافة، أصدر الملوك المسلمون التافهون عملتهم الخاصة، والتي انتقل الكثير منها إلى أيدي المسيحيين في شكل جزية أو نهب. كان الكونت **رامون بيرينغير** الأول من برشلونة، الذي استنسخ عملات **ملقة**، أول مسيحي يسك عملة ذهبية، **المانكوس**. أصدر **ألفونسو** السادس **بيلون ديناريوس** أو **بنس**، سبيكة من الفضة والنحاس. في أراغون **سانشو الأول**، نشأ **راميريز مونيتا إيكنسيس** العملة الفضية لـ: **جاكا**.

تم نسخ الدينار الذهبي المرابطي من قبل **ابن ماردانش** من **مورسيا**، لكن الإطاحة به في 1172 أوقفت تدفق الذهب إلى الشمال المسيحي، مما دفع ألفونسو الثامن إلى إصدار عملة ذهبية خاصة به، **مورابيتينوس** أو **مارافيدي**، وهي في الأساس نسخة من العملة الإسلامية؛ يزن حوالي 3.89 جرام، وسرعان ما تم قبوله في الولايات الغربية. حافظ كل من **إنريكي الأول** و **فرناندو الثالث** على ذلك دون تغيير؛ على الرغم من أن الأخير سك عملة ذهبية إلا أنها لا تختلف عن عملة جده. كما أصدر **فرناندو الثاني** و **ألفونسو التاسع** ملك ليون وكذلك سانشو الأول ملك البرتغال **مارافيديس** الذهبي الخاص بهم. بينما كان مارفيدي أو **ماربتينو الفونسو** عملة معدنية ومال حساب، كانت العملة المعدنية في الاستخدام اليومي بنس بيلون يسمى ديناروس أو دينيرو .

في عهد فرناندو الثالث، وُصفت هذه العملات المعدنية بأنها بورغاليس (تم سكها في بورغوس) أو ليونز تم صكها في ليو في كاتالونيا، كان سوليدوس، بدلاً من الميزان، هو المال المعتاد للحساب، بينما كان العشاء أو البنس يخدم المعاملات اليومية. كما انتشرت العملات المعدنية من جنوب فرنسا في شبه الجزيرة وكذلك دينار آل محمد الذهبي. معروف للمسيحيين باسم مازمويدينا. (على عكس الدوبلا أو الدينار المزدوج، الذي يزن حوالي 4.60 جرام)، كان وزنه 2.32 جرام.

خطة الفصل الأول :

1- النفقات العسكرية والإيرادات الملكية العادية
2- الرسوم البابوية لتمويل الحملات الصليبية إلى الأراضي المقدسة
3- رسوم التيريكاس وغيرها من الرسوم الملكية على الدخل الكنسي
4- الضرائب غير العادية: Monetaticum ,Bovaticum ,Peiturm
5- منبوذات(الجزيات) القرن الحادي عشر
6- منبوذا القرنين الثاني عشر والثالث عشر
7- القروض
8- إمبريستيتوس

1- النفقات العسكرية والإيرادات الملكية العادية :

كيف جمع الملوك الأموال اللازمة للحفاظ على قوات عسكرية كبيرة في الميدان لأشهر في كل عام بعد عام ؟ كان النبلاء ورجال البلدة ملزمين تقليديًا بالخدمة لمدة ثلاثة أشهر سنويًا. كما قامت الجيوش بتموين نفسها جزئيًا من العلف والغنائم، على الرغم من أن الدليل قصصي بشكل عام ولا يمكن تحديده كمياً. إن توقع حصة في توزيع الأراضي بعد الاستيلاء على القلعة أكد للملك الدعم السريع، ولكن لا يزال يتعين عليه الحصول على مبالغ إضافية من المال. وبصرف النظر عن صيانة محكمته، شملت نفقاته رواتب تابعيه ؛ وصيانة القلاع وتحصينها ؛ واقتناء وصيانة الأسلحة والدروع والخيول والبغال وغيرها من الحيوانات الضرورية ؛ والغذاء للرجال والحيوانات ؛ وبناء آليات الحصار ونقلها ؛ وإصلاح السفن و طواقمها عند الضرورة ؛ رعاية الجرحى ودفن الموتى. [1]

كانت الرواتب (السولدادا) المستحقة للتابعين الملكيين من بين نفقاته الرئيسية. عادة دفع التابعين، بدلاً من منحهم إقطاعيات، كما هو الحال في شمال أوروبا، ربما تطورت في القرن الثاني عشر، خاصة في عهد ألفونسو السابع، وتم تسهيلها من خلال الجزية من الحكام المسلمين. جادل غراسوتي بأن التابعين الملكيين يتلقون رواتب سنوية لصيانتهم وغيرها لحملات محددة، لكننا لا نعرف عدد المستفيدين ولا مبلغ كل راتب. كان الراتب المعتاد في القرن الثالث عشر، وفقًا **لغونزاليس**، 300 إلى 400 مارافيدي، ويمكن أن يتوقع النبلاء من الرتب الأقل حوالي 67 مارافيدي. إذا احتفظ قطب بـ: **ميسنادا** من 100 فارس، فستصل الرواتب إلى 30.000 إلى 40.000 ماريفيدس إذا دفع فرناندو الثالث 300 400 مارافيديس لكل من الفرسان 200 في ميسنادا خلال حملة قرطبان، فإن له

[1] Thomas Bisson, Fiscal Accounts of Catalonia Under the Early Count-Kings (1151–1213), 2 vols. (Berkeley: University of California Press, 1984); Joseph F. O'Callaghan, "La financiación de la Conquista de Sevilla," in González Jiménez, Sevilla, 191–206.

كان من الممكن أن يصل مجموع النفقات من 60.000 إلى 80.000 مارافيدي. إذا حصل كل من المراهقين الستة إلى ثمانية عشر قطبًا الذين أكدوا مواثيقه قبل سقوط إشبيلية على راتب مماثل، فستكون التكلفة بين 4800-5600 و 6400-7200 ماريديفيس(عملة إسبانية قديمة).[1]

على الرغم من أن سجلات المدفوعات لحملات محددة عادة ما تكون غير موجودة، فقد تعاقد ألفونسو السابع، استعدادًا لرحلته إلى ألميريا، بالإضافة إلى النفقات المتكبدة في رفع قواته، على دفع 10.000 جنيه الموارابيتينوس بحلول نهاية سبتمبر 1146 10 000 آخر بحلول عيد الفصح التالي. قبل لاس نافاس، قدم ألفونسو الثامن عشرين سوليدي يوميًا لكل فارس وخمسة لكل جندي قدم. إن تقدير رئيس الأساقفة رودريغو بـ 10000 فارس و 100000 من رجال المشاة رائع وسيعني دفع مبالغ لم يسمع بها أحد ؛ ولكن إذا كان الأجر اليومي البالغ عشرين سوليدي لكل فارس وخمسة لكل جندي قدم دقيقًا، وربما يكون أكثر من ستين يومًا (من 20 يونيو إلى 10 أغسطس) لكان كل فارس قد تلقى 1200 سوليدي أو 160 مارافيدي (7.5 سوليدي أو سويلدو إلى ماريفيدس)، وكل جندي قدم 300 سوليدي أو 40 مارافيدي. إذا كان هناك 500 فارس و 5000 مشاة قدم، لكانت النفقات 80.000 مارافيدي للفرسان و 200.000 للفرسان. و مع ذلك، نظرًا لأنه من المستحيل تحديد عدد الرجال الذين شاركوا في الحملة، لا يمكن تحديد مبلغ الأموال المنفقة.

عقد اجتماع عام 1246 يطلب من بيلاي بيريز كوريا، السيد سانتياغو بتوفير 1500 رجل لمدة عامين في الخدمة للدفاع عن الإمبراطورية اللاتينية للقسطنطينية يشير إلى شيء من التكاليف التي ينطوي عليها. وافق على إحضار 300 فارس و 200 رماة و 1000 رقيب و جندي ، بالإضافة إلى 300 حصان حرب و 300 حصان آخر. في المقابل، وعد الإمبراطور **بالدوين الثاني** بدفع مقدار 40.000 جنيهًا إسترلينيًا، محسوبة بمعدل 13 سوليدي و 4 دينار لكل علامة. ستكون تكلفة الرجل (بما في ذلك الخيول) 13.00 علامة في السنة و 26.00 لمدة عامين. وفقًا لتوديسكا، كانت العلامة الفضية أو علامة الجنيه الإسترليني تعادل ما يقرب من عشرة مارافيديس، وبالتالي فإن تكلفة الجيش المكون من 1500 رجل سنويًا ستكون 400.000 مارافيدي أو 800.000 لمدة عامين. وبنفس التقدير، فإن جيشًا مكونًا من 5000 رجل في حصار إشبيلية عام 1248 كان سيكلف حوالي 133.3000 مارافيدي لمدة عام واحد .[2]

ومع تطور قطاع النقل العابر والمشاريع التجارية، فإن الإيرادات المتأتية من الرسوم المفروضة على البضائع، والرسوم المفروضة على البضائع، والرسوم المفروضة على الأسواق ربما تكون معقدة ؛ ومرة أخرى كانت هناك استثناءات عديدة. جاء الدخل أيضًا من الاحتكار الملكي للملح ومناجم الحديد و الزئبق، والمطاحن الملكية، والحمامات، والأفران، والمتاجر، والمنازل، والبساتين، ومزارع الكروم، ومخازن الحبوب، وحقول القمح. وشملت الموارد الأخرى رسوم السفارة، والغرامات القضائية، والخمس الملكي من الغنائم، والتكريم الذي دفعته المجتمعات اليهودية.

وذلك من أجل تغطية نفقات الحرب، كان تحت تصرف الحكام المسيحيين مبلغ غير محدد من الأموال المستمدة من المصادر التقليدية. كانت أراضي التاج، بما في ذلك تلك التي تمت إضافتها من خلال الاستعادة، مصدرًا رئيسيًا للدخل. تضمنت الإيرادات المستمدة من المجال الملكي قبيلة سنوية معروفة بأسماء مختلفة، وكرم الضيافة، و أحكام للملك وبلاطه أثناء الزيارات السنوية. كان **فونسادیرا**، وهو مبلغ تم دفعه بدلاً من الخدمة العسكرية، مهمًا أيضًا، على الرغم من أن الإعفاءات كانت في كثير من الأحيان.[3]

[1] Chronica Naierensis, 156, Bk. 3, ch. 21; Historia Roderici, 78, ch. 43; Chronica la- tina, 81, 89, 112, ch. 38, 46, 70; Al-Ḥulal, 95; González, Fernando II, 390, and Fernando III, 1: 125–27, 177, 479; Grassotti, Instituciones, 2: 755–56, 763–66.

[2] Eloy Benito Ruano, “La Orden de Santiago y el imperio latino de Constan- tinopla," Estudios santiaguistas (León: Colegio Universitario de León, 1978), 29–60, esp. 53–60, nos. 1–5; Todesca, “Monetary History,” 163.

[3] , Alfonso VII, 226–27; González, Fernando III, 1: 490–92.

وفقًا لغونزاليس، بلغ الدخل العادي **لفرناندو الثالث** حوالي 1.000.000 مارافيديس؛ ولكن نظرا لعدد الإعفاءات، لم يتسنّ تغطية النفقات، ولا سيما النفقات المتكبدة في عملية الاسترداد. وكان هذا صحيحا على الأرجح بالنسبة للملوك المسيحيين الآخرين، الذين اضطروا إلى تمويل العمليات العسكرية من عدة مصادر استثنائية، وهي **التيرسيا** أو ثلث العشر، فضلا عن الإعانات الكنسية الأخرى **المونيتا**، وهو مبلغ تم دفعه مقابل تعهد الملك بالحفاظ على العملة دون تغيير الجزية أو المنبوذة التي يدفعها حكام مسلمون صغار و القروض المقدمة من المصرفيين ؛ والقروض القسرية من المدن. و مع ذلك، كان على الاحتياجات الملكية أن تنافس المتطلبات البابوية للمساعدة المالية لمملكة القدس الصليبية.

2- الرسوم البابوية لتمويل الحملات الصليبية إلى الأراضي المقدسة :

ظهرت الضرائب غير العادية عندما سمح الباباوات للملوك بأخذ جزء من الإيرادات الكنسية لتمويل الحملات الصليبية إلى الأراضي المقدسة. بمجرد القيام بذلك، كانت مسألة وقت فقط قبل أن يضع ملوك إسبانيا المسيحيون أيديهم على أموال الكنيسة.

جمعت البابوية بالفعل أموالاً من إسبانيا تحت مختلف العناوين ؛ وشملت هذه التعداد الذي دفعته الكنائس مقابل الحماية البابوية، وإحصاء يستحق كعلامة على التبعية. أعلن سانشو الأول راميريز من أراغون أنه تابع بابوي 1068 ، ووعد بإجراء تعداد سنوي، وبحسب ما ورد دفع 500 مانكوسو من وقت غريغوري السابع حتى وفاته في عام 1094. أرسل مع ابنه **بيدرو الأول** مبلغ 1098 مانكوسو كدفعة لمدة عامين. سعياً وراء الحماية البابوية، وعد الكونت **رامون بيرينغير**الثالث من برشلونة في 1116 أيضًا بإجراء تعداد سنوي 30 مارافيديس. بعد ما يقرب من قرن من الزمان، في عام 1204، تعهد بيدرو الثاني بتكريم سنوي لمازموديا ما يقدر بـــ: 250 أوقية من الذهب ، ولكن يبدو أنه دفع دفعة قريبة لأن هونوريوس الثالث، في 1218 طالب خايمي الأول بدفع متأخرات من علامات 960 من الفضة ؟ عندما تعهد ألفونسو الأول بتكريم البابوية في عام 1143، أشار إلى أنه سيدفع أربع أوقيات من الذهب سنويًا، على الرغم من عدم وجود سبب وجيه للاعتقاد بأنه فعل ذلك. في مقابل الاعتراف البابوي كملك في عام 1179 وافق على دفع علامتين ذهبيتين، ويبدو أنه قدم هدية من 1.000 مارافيديس إلى ألكسندر الثالث. ومع ذلك، ربما لم يتم دفع الجزية السنوية حتى 1198 عندما اشترط سانشو الأول أن المبلغ كان أربع أوقيات من الذهب، تم دفعه 504 مارافيديس، وربما متأخرات لمدة عشرين عامًا. ومع ذلك، فقد اعترض على مطالبة إنوسنت الثالث بأي مبلغ إضافي مثل هدية والده من 1.000 مارافيديس. في عام 1213، دفع ألفونسو الثاني 3.000 مارافيديس، أي ما يعادل 56 علامة ذهبية، تغطي الثمانية والعشرين عامًا من انضمام سانشو الأول، لكن كان على هونوريوس الثالث في 1218 تذكيره بدفع القبلية السنوية. على الرغم من دفع هذه المبالغ بشكل متقطع، فقد مثلت استنزافًا للموارد المالية لحكام أراغون والبرتغال.[1]

على الرغم من أن التعداد كان مساهمة طوعية، إلا أن الضرائب البابوية على الحملة الصليبية لم تكن كذلك. هنا يقع العبء مباشرة على رجال الدين. من أجل دعم الحملة الصليبية الثالثة، طلب غريغوري الثامن من رجال الدين التبرع بنقود من دخلهم. مدد كليمونت الثالث ذلك إلى إسبانيا، وأمر رجال الدين في كل أبرشية بالمساهمة وفقًا لوسائلهم. كما تم تشجيع **لايبرسونس** على تقديم المساعدة المالية. في عام 1199، قام ألفونسو الثالث بتضخيم هذا النمط الجديد من الضرائب الصليبية عندما اقترح منح أربعين من جميع الدخل الكنسي لمدة عام واحد للصليبيين الذين يسافرون إلى الشرق. ثم استعدادًا للحملة الصليبية الخامسة، قام مجلس **لاتران الرابع** بفرض ضريبة لمدة ثلاث سنوات على الدخل الكنسي. كان ماستر المعبد وسابق المستشفى في إسبانيا، بمساعدة كانتور وشمامسة زامورا، مسؤولين عن الجمع.[2]

[1] . DMP DR, 1: 250, no. 202 (13 December 1143); Lucius II, Epistolae, PL 179: 860–61, no. 26 (1 May 1144); Alexander III, Epistolae, PL 200: 1237–38, no. 1424 (23 May 1179); DP, 193, no. 170

[2] Rivera Recio, Toledo, 222–24, n. 74 (8 May 1188); Lucas, Chronicon, 4: 113, and Crónica, 421, ch. 88; Goñi Gaztambide, Historia, 134–35; Linehan, Spanish Church, 5–8; Brundage, Canon Law and the Crusader, 147, 185–87.

كان رجال الدين الإسبان، الذين ساهموا بالفعل بشكل كبير في حملة لاس نافاس الصليبية، غير سعداء باحتمال فقدان خمسة في المائة من مدخولهم بهذه الطريقة واستجابوا بالاحتيال والخداع. بعد تلقي تقرير من جامعي الضرائب البابوية، قام هونوريوس الثالث بتوبيخ رؤساء الأساقفة **رودريغو** و **توليدو** و **بيدرو** من **كومبوستيلا**، و **إستيفانو** من **براغا** وفشلهم في دفع العشرين من قبل يوم جميع القديسين (1 نوفمبر 1216)، وهو التاريخ الذي حدده سلفه. ولم يقتصر الأمر على إهمالهم عقد اجتماعات متزامنة للإعلان عن الدورة العشرين، بل تساءلوا أيضا عما إذا كان يتعين دفع الأموال نقدا ؛ ومن خلال جمع المواد الغذائية والعروض العينية الأخرى، فإنها تضمن أن الجمع سيستمر إلى الأبد. استقر البابا على أنهم، دون مزيد من التأخير، يجمعون العشرين نقدًا ويفترضون ذلك في ثلاثة أماكن سماها هواة الجمع، ويبلغونه بالمبلغ الذي تم جمعه. كما سمح بإعفاء رجال الدين الذين ارتكبوا عمليات احتيال من أجل الهروب من الدفع. نظرًا للتدابير غير الكافية التي تم اتخاذها حتى الآن، أرسل في عام 1218 لتجاوز المجموعة وتسجيل المبالغ المستلمة وإيداع الأموال بأمان قبل إرسالها إلى روما. كان إيمانه بمرؤوسيه في غير محله.

في غضون ذلك، طلب البرتغاليون المشاركون في الحملة الصليبية لـ: **ألكاسير دو سال** استخدام العشرين في تلك الحرب. على الرغم من فشل **هونوريوس الثالث** في معالجة هذا السؤال، إلا أنه تنازل عن نصف العشرين من رؤية **توليدو** و **سيغوفيا** إلى رئيس الأساقفة رودريغو لحملته الصليبية ؛ سيظل الباقي يذهب إلى الأرض المقدسة. في عام 1219 تم إيداع 600 مارافيدي ذهبي و 1500 دينار بورغاليس في طليطلة. في العام التالي، قام البابا بأصالة رئيس الأساقفة لاستخدام الأموال من مقاطعة طليطلة للسنوات الثلاث التالية لحملته الصليبية، وشجع رئيس أساقفة **تاراغونا أسباريغ** والأساقفة الآخرين على مساعدة مؤتمرهم.[1]

بعد بضعة أشهر، اشتكى البابا من أن رئيس الأساقفة رودريغو لم يكن يضغط على حملته الصليبية، وطالب بتحويل العشرين الممنوحة لهذا الغرض إلى الأرض المقدسة. اتهم هونوريوس الثالث محصل الضرائب الخاص به، **هوغوتشيو**، بـ «السعي لتحقيق مكاسبه الخاصة»، وأمر الأسقف **أسباريج** بإجراء تحقيق وإحالة العشرين التي تم جمعها في مقاطعته إلى رئيس الأساقفة رودريغو. ألقى البابا باللوم على رودريغو في مقاومة «العديد من الفضائل والانتهاكات» لـ: **هوغوتشيو**، ووعده بمزايا مختلفة. قام رئيس الأساقفة، على حد تعبير **لوماكس**، برشوة هوغوتشيو من أجل الحصول على أموال إضافية لحملته الصليبية. لذلك، يبدو أن جامعي الضرائب لـ: البابا لم يحققوا نجاحًا أكبر من أولئك المعينين بشكل غير مترابط في المهمة. في عام 1221، تم إيداع 4706 **أوري** بالإضافة إلى عدد غير محدد من البرغليس والفلفل في راهبات **لاس هويلجاس دي بورغوس**. في عام 1222، أذن البابا لصاحب المستشفى **غونزالو غارسيا** بجمع العشرين وإعفاء من الحرمان الكنسي، في ظل ظروف معينة، أولئك الذين فشلوا في الدفع. طُلب من رئيس الأساقفة أسباريغ و جانسه أن يسلموا إلى الأخ غونزالو ما تبقى من العشرين وغيرها من الإشادة المستحقة لروما. بعد ثلاث سنوات، أرسل البابا بيلاجيوس، الأسقف المنتخب في فلسطين، لجمع العشرينات من الأرض المقدسة. وبما أن الحملة الصليبية الخامسة قد انتهت بسقوط **دمياط** في عام 1221، لم يكن هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن رجال الدين الإسبان كانوا سيميلون إلى الاحتفاظ بها أكثر من ذي قبل.[2]

لم يكن لدى **غريغوري التاسع** و **إنوسنت الرابع**، على الرغم من أنهما كانا من أشد المؤيدين لمملكة القدس اللاتينية، سوى القليل ليقوله عن العشرين. عندما انطلق نافارين إلى الأرض المقدسة، طلب غريغوري التاسع

[1] Mansilla, Honorio III, 76–78, 106–8, 160–61, 207–8, 214, 217-18, 221, nos. 95–96 (1217), 134, 207 (9 February 1219), 268–69 (4–5 February 1220), 278 (29 April), 285 (21 May), 291 (17 June); Gorosterratzu, Rodrigo, 431, 435–36, nos. 65 (28 January 1219), 74–75; González, Fernando III, 1: 279–80, 461; Linehan, Spanish Church, 9, n. 1, citing AC Toledo, A6.H.1.8d (4 February 1220); BS, 70, 616, nos. 3, 12.

[2] Mansilla, Honorio III, 225-27, 237–38, 242–43, 290, 396, 438–39, 454, nos. 299–300 (1 July 1220), 301 (4 July), 319 (4 September), 326 (22 September), 390 (15 January 1222), 535 (30 January 1225), 584 (19 October), 598 (7 April 1226); Paul Freedman, "Two Letters of Pope Honorius III on the Collection of Ecclesiastical Revenues in Spain," Church, Law and Society in Catalonia, 900–1500 (Aldershot: Ashgate/Variorum, 1994), No. VI: 37–40, nos. 1 (23 August 1222), 2 (1 September); González, Fernando III, 1: 461; Linehan, Spanish Church, 19.

من رجال الدين في Navar- rese(منطقة في اسبانيا) تقديم دعم للملك. من أجل تشجيع حملة خ**ايمي الأول** الصليبية ضد الأزرق، أوقف إنوسنت الرابع جمع العشرين لمدة ثلاث سنوات. بعد بضع سنوات، أرسل البابا **فالكو بيريريوس** إلى إسبانيا ليختار **الديسيما**، وهو ما يمثل 10 في المائة من عائدات الفوائد الكنسية، لدعم الحملات الصليبية إلى الأرض المقدسة. هذه الضريبة الأولى من **الديسيما** تصل إلى 35.411 فلورين من أراغون، ولكن لا توجد إجراءات مفصلة لذلك.[1]

يبدو أن الجهود البابوية لجمع عشرين من دخل رجال الدين لدعم الحملات الصليبية في الأراضي المقدسة كانت بالتأكيد أقل من ناجحة. نظرًا لتهديد الإسلام في إسبانيا نفسها، حتى في أوقات الهدنة، فإن رجال الدين الإسبان، الذين قد يكونون مقاومين لأي شكل من أشكال الضرائب، كان لديهم ابن جيد للاحتجاج على ضريبة لن يتم استخدامها للدفاع عن **كريستن دوم** في شبه الجزيرة الأيبيرية.

3- رسوم التيريكاس وغيرها من الرسوم الملكية على الدخل الكنسي :

سرعان ما اكتشف الحكام المسيحيون، مثل الباباوات، أن الكنيسة كانت مصدرًا مناسبًا للدخل غير العادي. بالإضافة إلى الاستيلاء على بضائع الأساقفة المتوفين، أو اغتصاب ممتلكات الكنيسة دون موافقة، حاول الملوك والأمراء أيضًا فرض الجزية على الكنيسة. على الرغم من أنه كان من المتوقع أن « يعيش الملوك على تحياتك الخاصة وعائداتك المشروعة»، إلا أنهم لم يشعروا بأي ندم في الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة عندما اعتبروها سارية. قال البعض إن وفاة **ألفونسو الأول** في براغا كانت نتيجة نهبه لكنائس **ليون** و **قشتالة** من أجل دفع رواتب أتباعه. في الواقع، أمر في وصيته الأخيرة بإعادة كل ما أخذه هو أو أسلافه ظلمًا من الكنائس.[2]

تعهد ألفونسو الثامن في **كوريا نيجيرا** عام 1180 بأنه لن يستولي على ممتلكات الأساقفة المتوفين، ولن يأخذ أي شيء من رجال الدين بالقوة، «ولكن فقط بحبهم وحسن نيتهم»، يشير إلى أنه فعل ذلك. يمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لـ: **ألفونسو التاسع**، الذي أكد لرجال الدين في أورينسي أنه لن يطلب منهم أي شيء دون موافقتهم. بعد بضع سنوات، بإذن من الأسقفية، نال الجزية من شعب أورينسي. و وعد بتقديم تعويض مناسب، وأكد أنه لن يطلب هو ولا أي من خلفائه الجزية دون موافقة الأسقف، بصفته سيد المدينة. ووبخ هونوريوس الثالث فرناندو الثالث لمطالبته بدعاية سنوية تقدر بـ: 1.000 مارافيديس من رؤية سيغوفيا ؛ من المحتمل جدًا أن الملك قدم مطالب مماثلة للكنائس الأخرى.

نشأ السؤال عما إذا كان رجال الدين ملزمين بالمساهمة في الرسوم الملكية في عام 1180 عندما طلب ألفونسو الثاني أموالًا من **سرقسطة**. على الرغم من أن الناس وافقوا على الدفع، فقد أصروا، بالقوة إلى حد ما، على أن رجال الدين يجب أن يفعلوا ذلك أيضًا. في كثير من الأحيان دون طلب الموافقة، حاول **بيدرو الثاني** فرض ضرائب ممتلكات كنسية، لكن الأساقفة المجتمعين في **لاليدا** في عام 1211 أجبروه على إعلان أنهم لن يتحملوا أي تحيز في المستقبل بسبب المساهمات الحالية. لكنَّ رجال الدين قدّموا من حين إلى آخر تبرعات غير مشروعة. خلال حصار **سرقسطة**، استخدم أسقف ويسكا إستيبان كنز الكاتدرائية لإنقاذ المحاصرين من الجوع.[3] في عام 1211، بعد سقوط سالفاتيرا، طلب **ألفونسو الثامن** من رجال الدين التعهد بنصف دخلهم السنوي للحملة التي بلغت ذروتها في **لاس نافاس**. وبالمثل، عرض **فرناندو** من **ألكوباشا**، الأوامر العسكرية، والأقطاب توفير الطعام والنفقات للصليبيين الشماليين المتعاونين في الهجوم على القصر. بعد عدة سنوات، تعهد رئيس الأساقفة

[1] Goni Gaztambide, Historia, 171–78, 644, no. 2 (24 September 1238); Quintana Prieto, Inocencio IV, 2: 519–20, no. 559 (13 November 1248); José Font Rius, Rationes Decimarum Hispaniae (1279–1280), 2 vols. (Barcelona: CSIC, 1946-47). 1: viii.

[2] González, Alfonso VIII, 2: 522–24, no. 344 (1180), and Alfonso IX, 2: 99–100, 264-65, nos. 65 (29 March 1193), 189 (25 September 1204); Mansilla, Honorio III, 316-17, no. 436 (10 April 1223); Rodrigo, Historia, 262–63, Bk. 8, ch. 4.

[3] CDACA, 8: 64–67, no. 21 (December 1180); Bisson, Accounts, 1: 138, and Crown of Aragon, 54–55; Goñi Gaztambide, Historia, 72, n. 31; Chronica latina, 57, ch. 21; Mansilla, Honorio III, 76–78, no. 95 (1217); Bernat Desclot, Crònica, 2: 70, ch. 15; DJI, 205-6, 229-30, nos. 110 (21 December 1228), 123 (27 August 1229).

أسباريغ، غير قادر على المشاركة بسبب العمر والعجز، بتقديم 1000 علامة فضية لحملة مايوركا الصليبية. في كوريا برشلونة عام 1228، أقر **خايمي الأول** بأن المساعدة التي منحها الأساقفة الكتالونيون «لمهاجمة أرض وغدر الوثنيين» تم تقديمها بمحض إرادتهم ولن تنطوي على أي التزام مستقبلي في حين أن العشير كان مخصصًا لإغاثة الأرض المقدسة، تم توجيه العشر التقليدي (**الديازمو**)، و هو "عُشر دخل كل مسيحي"، لدعم الكنيسة في كل مملكة. سرعان ما وجد الحكام المسيحيون طرقًا لوضع أيديهم على **تريكاس** أو ثلث العشر المخصص لصيانة الكنائس. وتعني مراسيم مجلسي **فالنسيا** في عام 1129 وبلد الوليد في عام 1143 التي تمنع العاديين من الاستيلاء على **التيرسيا** أنهم فعلوا ذلك ". استولى **الفونسو الثامن**، الذي نسي على ما يبدو وعده في عام 1180، على **تيريكاس**، مما دفع **إنوسنت الثالث** للمطالبة بالرد. اعترف **إنريكي الأول** بأنه أخطأ في أخذ **التيرسيات**، وتعهد بعدم القيام بذلك في المستقبل. يشير ذلك إلى أن الاستيلاء على **تيريكاس** كان على الأرجح ممارسة مستمرة خلال القرن الثالث عشر، سمح الباباوات المتعاقبون للملوك وغيرهم باستخدام التيريكاس للاستعادة. في عام 1219، سمح هونوريوس الثالث للمشاركين في حملة المطران رودريغو الصليبية بالمشاركة في تيرسياس مقاطعة توليدو لمدة ثلاث سنوات. بعد ست سنوات، سمح البابا **لألفونسو تيليز دي مينيسيس** بتطبيق تيرسياس توليدو لمدة عامين على **ديف البوركيرك**. في وقت لاحق من ذلك العام، حصل شقيق ألفونسو، الأسقف تيلو من فالنسيا، على إذن بابوي لاستخدام أبرشيته في الحملة الصليبية وفرض مساهمة خيرية على رجال الدين. كما قام البابا بإقناع رجال الدين وشعب الأبرشية بتقديم «دعم معتدل» لأسقفهم للحرب ضد المسلمين.

في ضوء هذه السوابق، ليس من المستغرب أنه بمجرد أن يقرر فرناندو الثالث حمل السلاح ضد المسلمين، فإنه سيستخدم الترسيات لتمويل عملياته. عندما اشتكى رجال الدين، أصدر **غريغوري التاسع** في عام 1228 تعليمات إلى رئيس الأساقفة رودريغو والأساقفة الآخرين لإجبار الملك بالكف، لكنه تجاهل هذا التحذير بوضوح. وردًا على شكوى أخرى، أشاد البابا بجهود الملك لتوسيع الدين المسيحي، والتي تتطلب دعمًا مستمرًا من المؤمنين. وحث الأساقفة على إيجاد وسيلة لتقديم المساعدة المالية للملك التي لن تتعامل مع حريات الكنيسة حتى لا تنقطع مشروعه المقدس بسبب نقص الأموال.[1]

رد فعل الأساقفة غير معروف، ولكن نظرًا لغموض ثور البابا، فمن المحتمل أن فرناندو الثالث استمر في أخذ الترسيات. من المؤكد أنه يمكنه فعل ذلك دون توقع معارضة بابوية لأنه كان يعلم أن غريغوري التاسع سمح بتحويل الكشف الكنسي - لا شيء للحملات ضد مسلمي رئيس الأساقفة **رودريغو** و **سام سانتياغو**. على سبيل المثال، طلب البابا من أساقفة مقاطعة طليطلة المناصرين لحق الاقتراع دفع إعانة سنوية لمدة ثلاث سنوات لنفقات الأسقف المتكبدة في غزو كيسادا. استخدم فرسان سانتيا، بترخيص بابوي، بالمثل **تيرسيات** كنائسهم للدفاع عن مواقعهم الحدودية.

بعد سقوط قرطبة ناشد فرناندو الثالث غريغوري التاسع تقديم الدعم المالي لاستمرار غزو الأندلس. وأشاد البابا بالملك باعتباره أسقفا، وأمر الأساقفة القشتاليين و الليونيين بتقديم دعم قدره 20.000 قطعة ذهبية سنويًا لمدة ثلاث سنوات من كل مملكة. و هكذا يمكن للملك أن يتوقع 40.000 قطعة ذهبية كل عام من المملكتين، أو 120.000 أكثر من ثلاث سنوات، في عام 1267، زعم رئيس الشمامسة رودريغو من ليون أن الملك كان يأخذ 60.000 **ماريفيدي** كل عام لمدة ثلاث سنوات، أو 180.000 جميعا. إن امتياز غريغوري التاسع لم يكن تأكيدًا للحق الملكي في تيريكاس، ولكن ضريبة على الدخل الكنسي.

يتساءل عما إذا كان الملك، بمجرد أن أعاد الأسقف له المال، استمر في المطالبة به بعد ذلك. إذ جمع 40.000 قطعة ذهبية كل عام لمدة اثني عشر عامًا من 1236 إلى 1248، فسيكون المجموع 480.000.

[1] Cortes de los antiguos reinos de León y Castilla, 5 vols. (Madrid: Real Acade- mia de la Historia, 1861–1903), 1: 38, canon 16; HC, 430, Bk. 3, ch. 7; Erdmann, Pap- sturkunden, 198–203, no. 40 (September 1143); ES, 16: 487–88, no. 29 (6 January 1154).

مكّن النجاح العسكري المستمر لـ:**فرناندو الثالث** من مناشدة الملك للحصول على مساعدة مالية إضافية. وأشاد البابا بالملك باعتبار **أتليتا كريستي** المتخصص الذي اقترح شن هجوم على مسلمي **إشبيلية،** وأعلن ذلك على حق وأن أولئك الذين شاركوا في خدمة المسيح يجب أن يدعموا من قبل المؤمنين، وأذن بدعم نصف **تيرسيا** قشتالة وليون. وأشار مانسيلا و **غوني غازتامبيدي** إلى أن هذا كان أول تنازل بابوي قاطع للتيرسياس.[1]

ومع ذلك، أكد رودريغيز لوبيز أن «الاستيلاء على التاج كان حقيقة حدثت بالفعل خلال هذا العهد». كانت فترة الثلاث سنوات التي حددها الملك ستنتهي في 15 أبريل 1250، وربما تكون إعادة أتى طلب ملكي للتجديد كان إذن لـ **إينفانتي ألفونسو** في 30 أبريل بأخذ التيريكاس من أبرشية مدينة **كوينكا** يبدو أن التيريكاس قد زودت فرناندو الثالث بدخول ثابت إلى حد ما من منتصف أبريل 1247 وبالتالي ساهمت بشكل مباشر في حصار إشبيلية، ولكن هناك سبب للاعتقاد بأنه كان يأخذهم بشكل متقطع على الأقل من 1228. بمجرد أن حصل على إيرادات كنسية، سواء كانت التيريكاس، أو الدعم المصرح به من قبل غريغوري التاسع في عام 1236، ربما لم يتركه بسهولة واستمر في جمع نصف التيريكاس حتى وفاته. أعلن ألفونسو العاشر في كورتيس إشبيلية في عام 1252، أنه حتى يتمكن من حل المسألة، سيتم التعامل مع التيرسيات كما في زمن أسلافه، ألفونسو السابع و ألفونسو الثامن، يبدو أنه يشير إلى عادة طويلة الأمد تتمثل في استخدام التيريكاس لتلبية الاحتياجات الملكية.

يبدو أيضًا أن **سانشو الثاني ملك البرتغال** قد حصل على إيرادات كنسية دون موافقة. اشتكى أسقف **بورتو**(مدينة برتغالية)، بصفته سيدًا للمدينة، من أن الملك ابتز الأموال من المواطنين، وقام بـ «ابتزازات غير لائقة»، وإلغاء أوامر من الأسقف ورجال الدين، ونهب حقوقهم، خاصة على العشور. كما اتهموه بالاستيلاء على عائدات المناظر الشاغرة وممارسة حق المحسوبية على الكنائس ضد إرادة الأسقف. على الرغم من أن غريغوري التاسع أمر الملك بالكف عن ذلك، فمن الواضح أنه تجاهل التوجيه البابوي، لذلك أمره البابا في عام 1233 باستعادة أي عشور وممتلكات أخرى استولى عليها.[2]

على الرغم من هذه الصعوبات، حثّ غريغوري التاسع المؤمنين على مساعدة الملك الذي كان يرد على «الاحتفاظ بالأراضي المكتسبة مؤخرًا واكتساب الآخرين» في قضية الخلاص الأبدي. مع استمرار الاحتجاجات ضد سلوك سانشو الثاني، قام البابا، على الرغم من أنه قد يصفق لطموحات الملك الصليبية، بتجاوزه في يناير 1238. بعد بضعة أشهر وعد الملك بالكف عن انتهاك حصانات الكنيسة، لكن شهادته النهائية من قبل إنوسنت الرابع كشفت أنه لم يتغير الكثير،إذ كان صراع سانشو الثاني مع الأساقفة يرجع إلى حد كبير إلى مطالبته بالمساعدة المالية من الكنائس، ولكن ما إذا كان قد استخدم المال للحرب ضده أمر إشكالي.

وبينما كانت البابوية تحمي الكنيسة مما اعتبرته مطالب ملكية غير مبررة للحصول على المال، شجعت مع ذلك أولئك الذين لم يتمكنوا من الخدمة شخصيًا في الحملة الصليبية على تقديم الدعم المالي؛ إذا فعلوا ذلك فسيحصلون على التساهل الصليبي. وهكذا سمح هونوريوس الثالث في 1218 لرئيس أساقفة طليطلة بالإفراج عن الأشخاص الذين حكموا بأنهم مدمنون على الحملة الصليبية، بشرط أن يساهموا وفقًا لوسائلهم. بعد عام قدم التساهل لأولئك الذين دفعوا نفقات الآخرين أو حملة رئيس الأساقفة رودريغو الصليبية التي تلقت مساعدة مالية. في العام التالي قدم تنازلاً مماثلاً للأشخاص الذين ساعدوا حملة ألفونسو التاسع الصليبية. كما عرض غري**غوري التاسع** التساهل على أي شخص يدعم المساعدة المالية للحملة الصليبية، أو يساهم في دفع ثمن البديل. كما حث البابا الأساقفة، كشكل عملي من أشكال المساعدة، على تزويد وسام سانتياغو بالانتصارات.

[1] CDACA, 8: 64–67, no. 21 (December 1180); Bisson, Accounts, 1: 138, and Crown of Aragon, 54–55; Goñi Gaztambide, Historia, 72, n. 31; Chronica latina, 57, ch. 21; Mansilla, Honorio III, 76–78, no. 95 (1217); Bernat Desclot, Crònica, 2: 70, ch. 15; DJI, 205-6, 229-30, nos. 110 (21 December 1228), 123 (27 August 1229).

[2] . Hernández, Cartularios, 530, no. 644 (5 April 1208); González, Alfonso VIII, 2: 774–75, no. 451 (21 April 1186), and 3: 716–17, nos. 995–96 (15 February 1216); Mansilla, Hon- orio III, 67, 74, nos. 84 (25 August 1217), 93 (25 September); Linehan, Spanish Church, 111.

وعلى الرغم من أنه من المحتمل أن تكون الانتهاكات الطوعية مصدرا لا يستهان به لدعم الحملات الصليبية الإسبانية، فإنه لا يمكن التأكد من المجاميع.[1]

4- الضرائب غير العادية: Monetaticum ,Bovaticum ,Peiturm

عندما أصبح من الواضح أن الإيرادات العادية لم تكن كافية لمواصلة النضال ضد الإسلام الإسباني، كان على الملوك اللجوء إلى الضرائب غير العادية. ومهما كانت الحاجة كبيرة، لم يكن بإمكان الملوك أن يأخذوا ضرائب استثنائية فحسب، بل كان عليهم أن يطلبوا الموافقة؛ من أواخر القرن الثاني عشر فصاعدًا، قُدمت هذه الطلبات في تجمع من الأساقفة والأقطاب وممثلي البلديات[2].

تم فرض الضريبة الأولى ذات الطابع الاستثنائي بسبب التهديد الذي يمثله المرابطون. في عام 1090، طلب ألفونسو السادس من طبقة النبلاء وسكان البلدة الأدنى في مملكة ليون دفع اثنين من **سوليدي** في عام الإيجار. على الرغم من أنه اشترط ألا يقدم هو أو خلفائه هذا الطلب مرة أخرى، إلا أنه فعل ذلك في العام التالي. يبدو أن الذروة كما كانت تسمى قد تطورت إلى ضريبة يتم جمعها بانتظام دون الحاجة إلى طلب الموافقة، ولكن نظرًا لأنها كانت منخفضة إلى حد ما، وتم منح العديد من الإعفاءات للمؤسسات الكنسية، لم تكن مؤيدة للغاية. خلال كوريا ليون في 1208، ألفونسو التاسع، بينما كان يضمن ممتلكات كنسية ضد المصادرة، تخلى على وجه التحديد عن أي حق في فرض اللحوم على رجال الدين في الكاتدرائية. ومع ذلك، اعترف بأن الأساقفة اعتادوا "بفرح على ضمان ضروراتنا.[3]

يمكن إرجاع أصول (Bovaticum)، وهي "ضريبة استثنائية مفروضة على الماشية" في كاتالونيا، إلى **الكونت رامون بيرينغير الثالث**، الذي تعهد في عام 1118 بعدم تغيير العملة خلال حياته؛ في المقابل، قام بتعديل اثني عشر مطعمًا لكل نير من الثيران، وستة لكل بقرة، وثلاثة لكل محراث. خلال **كوريا فونداريلا** في عام 1173، عند تأكيد سلام الله وهدنته، فرض ألفونسو الثاني **البوفاتيك**، وهي ضريبة عامة تدفع لكل بقرة. ومع ذلك، كانت هذه حداثة ولم تكن تحظى بشعبية كبيرة لدرجة أنه وعد في كوريا جيرونا عام 1188 بفرضها مرة أخرى. ومع ذلك، فإن **بيدرو الثاني**، عند اعتلائه العرش، جمعه، ووفقًا لـ: **زوريتا**، فعل ذلك مرة أخرى عندما انطلق إلى **لاس نافاس**. بلغت الإيصالات من البوفاتيكم في أبرشية من 1200 إلى 1900 بوفاتيك، وفقًا لبيسون، كان هذا «أول حساب موجود لهواة الجمع لضريبة غير عادية في تاج أراغون». كما أشار إلى أن هذه كانت «المحاولة الأولى لتحصيل ضريبة السلام بشكل منهجي في جميع أنحاء كاتالونيا». استلم خايمي الأول البوفاتيك في وقت مبكر من حكمه في كوريا العامة التي عقدت في مونزون في عام 1217، ومرة أخرى خلال كوريا برشلونة في عام 1228 لحملة مايوركا الصليبية. بعد بضع سنوات، عندما كان يستعد للحملة الصليبية البلنسية، سمح الكتالونيون في كوريا مونزون في عام 1236 ببوفاتيك إضافي كما تم الحصول على إيرادات غير عادية من (monetaticum)، وهي ضريبة يتم فرضها كل سبع سنوات مقابل التعهد الملكي بالحفاظ على العملة سليمة. و تشكل الأرباح المتأتية من النعناع مصدرا قيما للإيرادات؛ على سبيل المثال، كلما أصدر الملك عملة جديدة، استفاد من خصم الأموال القديمة. في نهاية المطاف، تعلم الحكام أنه يمكنهم أيضًا تحقيق ربح من خلال ابتكار أموال جديدة بسبائك متزايدة، ولكن بنفس قيمة الصرف أو ربما أكبر مثل العملة

[1] Mansilla, Honorio III, 162–63, 414–16, 440–41, nos. 210 (16 March 1219), 559–60 (3 June 1225), 585–86 (20 October).

[2] Gorosterratzu, Rodrigo, 257–59, 439–40, nos. 90-91 (14 February 1228); Auv- ray, Grégoire IX, 1: 155–56, 202, 1116–17, nos. 255 (8 December 1228), 329 (7 August 1229), 2063 (5 June 1232), 2195 (23 October 1234); BS, 103–4, no. 11 (23 October 1234).

[3] Gorosterratzu, Rodrigo, 449, no. 128 (3 September 1236); Auvray, Grégoire IX, 2: 473–74, nos. 3315-16 (reg.); Linehan, Spanish Church, 111–12, citing AC León, doc. 1564; Goñi Gaztambide, Historia, 153–57.

القديمة.ومع ذلك، كانت مثل هذه التعديلات مزعجة للمستهلكين وأدت إلى احتجاجات.[1]

أكد **توديسك**ا أنه لا يوجد دليل على وجود انحطاط منهجي لعملة ليون و قشتالة في القرن الثاني عشر ولا على التضخم. بالنسبة للجزء الأكبر، كما أشار بيسون، ظلت عملة أراغون و كاتالونيا مستقرة نسبيًا حتى الربع الأخير من القرن الثاني عشر. ومع ذلك، مع زيادة النفقات الملكية، قام ألفونسو الثاني بقضم العملة الفضية لبرشلونة و جاكا لمصلحته الخاصة. على الرغم من أنه أكد عملته المعدنية الجديدة لبرشلونة في عام 1174، إلا أنه حطّ من قدر أموال جاكا حوالي 1180. و ردًا على الاحتجاج، أكد ذلك مدى الحياة، لكنه أدرك أنه لا يستطيع الاستغناء عن الأرباح التي سيحققها التغيير، وناشد البابا الإفراج عنه من قسمه. في المقابل وعده بمنح عُشر الأرباح لفرس الأرض المقدسة، حصل على إذن **سلستين الثالث** في عام 1191 لتغيير عملة جاكا. على الرغم من أنه وافق على الحفاظ عليها كما هي بعد ذلك، يبدو أنه قد حط من قدر ذلك في نهاية عهده

في عام 1197 أكد **بيدرو الثاني** عملة والده لكنه سرعان ما حصل على «استرداد الأموال» من بلدة **فيك** الكاتالونية (و ربما من الآخرين) بسبب الخطر الإسلامي ؛ كانت جيوش الموحدين المتحالفة مع **ألفونسو التاسع** تدمر قشتالة بعد كارثة **الاركوس**. في ذلك الوقت، تعهد الملك بيدرو بأنه إذا نشأ وضع مماثل في المستقبل، فسوف يجدد هو وخلفائه هذا الطلب. وسرعان ما ناشد إنوسنت الثالث، مع ذلك، زاعمًا أنه بينما كان يستعد للانضمام إلى ألفونسو الثامن ضد المسلمين، أقنعه مستشاروه بشكل مخادع، دون موافقة الشعب على الوعد بعدم تغيير عملة والده؛ ولكن الآن بعد أن انخفضت قيمة الأموال، طلب من البابا إعفائه من قسمه، وهو ما فعله. [2]

في مملكة **ليون ألفونسو التاسع** المجاورة، كان البحث عن دخل استثنائي مثقلًا بنفس القدر. في كوريا بينافينتي في عام 1202 وعد بعدم تغيير عملته لمدة سبع سنوات، مقابل مارافيدي واحد يدفعه كل رجل حر غير نبيل. إذا تم فرض **المونيدا فوريرا** (كما أصبح يسمى) كل سبع سنوات بعد ذلك، كان ينبغي جمعها في 1209 و 1216 و 1223 و 1230 و 1237 و 1244 و 1251. يبدو أيضًا أن **ألفونسو الثامن** قد جمع نقودًا، ولكن من الصعب تحديد تاريخ البدء. كما ورد لأول مرة في عام 1215، ربما وعدت بإبقاء عملة والده سليمة. إذا تم دفعها للاعتراف بالسيادة في بداية كل عهد، كان من المفترض أن يتمكن فرناندو الثالث من فرضها في قشتالة في عام 1217 وفي ليون في عام 1230، وكل سبع سنوات بعد ذلك، مقابل الحفاظ على العملة دون تغيير. في الواقع، يبدو أنه حافظ على مارافيدي الذي أصدره جده القشتالي ووالده الليوني.

بعد فترة وجيزة من بدء ألفونسو التاسع في جمع الأموال، فعل بيدرو الثاني الشيء نفسه. على الرغم من أنه تعهد في عام 1205 بالحفاظ على عملة برشلونة دون تغيير طوال حياته وعدم طلب أي مدفوعات مقابل ذلك، إلا أن هناك بعض التساؤل حول ما إذا كان هذا الميثاق قد صدر. ومع ذلك، وجد أنه من المستحيل العيش على إيراداته المعتادة، خاصة بعد أن وعد بدفع جزية سنوية للبابا لـ 250 مرافيدي ذهبيًا كعلامة على التبعية. وهكذا يبدو أنه قدم النقود في هويسكا في نوفمبر1205. للمساعدة في تحمل هذه التكلفة، من بين أمور أخرى. تم إعفاء المعبد والمستشفيات وفرسان أراغون و كاتالونيا، ولكن تم اعتبار ضريبة **اثني عشر دينيرًا** لكل واحد بقيمة

[1] Gorosterratzu, Rodrigo, 468–69, no. 177 (15 April 1247); Berger, Innocent IV, 1: 377, no. 2533; Mansilla, Iglesia, 57; Goñi Gaztambide, Historia, 184; Ana Rodríguez López, "La política eclesiástica de la monarquía castellano-leonesa durante el reinado de Fernando III (1217–1252)," Hispania 48 (1988): 37; Clementino Sanz y Díaz, Reseña cronológica de algunos documentos conservados en el archivo de la catedral de Cuenca (Cuenca: Calasanz, 1965), no. 77 (30 April 1250).

[2] Antonio Ballesteros, "Las Cortes de 1252," Anales de la junta para ampliación de estudios e investigaciones científicas 3 (1911): 114–43, art. 44; Antonio López Ferreiro, Fueros municipales de Santiago y de su tierra (Santiago de Compostela: Imprenta del Seminario, 1895), 386, art. 69; Fuero real 1, 5, 4; O'Callaghan, Cortes, 132–33, and The Learned King, 53–54.

الممتلكات المنقولة وغير المنقولة بمعدل 4.16 بالمائة ثقيلة. بالنظر إلى المعارضة، وافق بعد أربع سنوات على أنه لن يغير العملة المعدنية طالما عاش.[1]

أكد خايمي الأول عملة جاكا لمدة عشر سنوات في كوريا ليدا عام 1218 ومرة أخرى خلال كوريا ويسكا بعد ثلاث سنوات. على الرغم من ذلك، على ما يبدو أنه صاغ أموالاً جديدة، ولكن تحت الضغط كان عليه التخلي عنها في داروكا في عام 1223 ؛ مقابل تأكيد عملة والده لمدة عشر سنوات، حصل على ثلاثة أموال، وعد باستخدامها لسداد الديون الملكية. في وقت لاحق من العام اشترط أن يمتد تأكيده للعملة المعدنية لمدة سبع سنوات من، أي 29 سبتمبر 1223. و بالتالي فإن المرة القادمة التي يحق له فيها تغيير عملته ستكون في عام 1230، ولكن لا يوجد دليل على أنه حاول القيام بذلك. خلال كوريا مونزون في عام 1236، في الواقع من أجل تمويل الحملة الصليبية البلنسية، أكد مدى الحياة عملة جاكا، وتلقى في المقابل كل سبع سنوات نقود من مارافيدي واحد من كل أسرة معيشية تبلغ قيمتها عشر قطع ذهبية أو أكثر ؛ كان هذا معدل حوالي 3.33 في المائة. وأشار إلى أنه جلب الجزية في جميع مدن أراغون و كاتالونيا. و بقدر ما تم منحه هو وخلفائه، فمن المحتمل أن يتم جمعه كل سبع سنوات دون طلب الموافقة.[2]

ربما يكون **ألفونسو الثالث** قد فرض نقدًا لمساعدته في إكمال الاستعادة البرتغالية، ولكن دون طلب الموافقة في البداية. اشتكى أسقف بورتو في كوريا غيماريش عام 1250 من أن «الملك أجبر رجال الدين على شراء عملتنا المعدنية بما يتعارض مع عادة الملوك الآخرين». أجاب الملك أنه فعل ذلك بسبب «فائدة المملكة بأكملها» و بموافقة جميع الأساقفة. قد يكون من الجيد أن من سبقوه، بينما كانوا يعفون رجال الدين، حاولوا جمع النقود كل سبع سنوات، وربما يكون قد أخذها في عام 1247، كما يشير قانون 1253 إلى فترة سبع سنوات. اعترف كورتيس ليريا في عام 1254 بالنقود لمدة سبع سنوات مقابل تأكيد العملة. و مع ذلك، في أوائل العام التالي، كان يطالب مرة أخرى بفرض ضريبة على التهديد بتغيير العملة؛ لكن رد الفعل السلبي للنبلاء والأساقفة أجبره على التخلي عن الخطة والقسم بالحفاظ على العملة سليمة حتى انقضت سبع سنوات. منحه **كورتيس كويمبرا** في عام 1261 مقابل قسمه للحفاظ على العملة المعدنية إعانة.

إن مدى جودة وكفاءة تحصيل هذه الضرائب ليس واضحًا على الإطلاق. لم يتم تخفيض إيرادات الملك فقط من خلال العدد المتزايد من الإعفاءات، ولكن عدم وجود أي سجلات باقية للدخل والنفقات يحبط كل جهد لتحديد الأموال التي يمتلكها الملك بالضبط في خزانته في أي وقت. من المستحيل تحديد عدد الأشخاص أو الأسر المعيشية الذين كانوا ملزمين بالمساهمة في وظائف مثل (bovaticum) أو (monetaticum). و مع ذلك، قد يفترض المرء أنه على مر السنين تراكمت على كل من الحكام المعنيين مصادر مالية كبيرة. في الحالات المذكورة أعلاه، لم يكن فرض هذه الضريبة مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالضرورات المالية للاسترداد، ولكن يمكن للمرء أن يفترض بالتأكيد أن عبء الحرب ضد المسلمين كان له وزن كبير في حسابات الميزانية للحكام المسيحيين.[3]

5- منبوذات(الجزيات) القرن الحادي عشر:

كانت الجزية أو المنبوذة (وهي كلمة من أصل عربي على ما يبدو) المفروضة على المسلمين من قبل أسيادهم المسيحيين، على الرغم من أنها متقطعة، ربما كانت المصدر الأكثر قيمة للدخل الاستثنائي. مع ذلك يمكن للمرء الحصول على القلاع، منح الكنائس أو دفع رواتب للتابعين أو إثراء الورثة. على الرغم من أنه من المستحيل

[1] Auvray, Grégoire IX, 1: 36–38, 742–46, nos. 70–71 (5 May 1227), 1327 (26 May 1233), 1328–29 (reg.); MH, 1: 60–61, no. 35 (21 October 1234); Caetano de Sousa, Provas, 1: 50-54, no. 22 (January 1238); Gorosterratzu, Rodrigo, 455, no. 140 (6 May 1238).

[2] . Mansilla, Honorio III, 127–28, 161–62, 274–75, nos. 162 (24 February 1218), 209 (15 March 1219), 369 (13 February 1221); Auvray, Grégoire IX, 1: 1215–16, no. 2300 (4 De- cember 1234, reg.), and 2: 473–74, nos. 3315–16 (3 September 1236, reg.).

[3] . O'Callaghan, Cortes, 130–51; Evelyn Procter, Curia and Cortes in León and Castille, 1072–1295 (Cambridge: Cambridge University Press, 1980), 186–203.

التأكد من المبلغ الإجمالي المستحق على أي من الحكام المسلمين، يبدو أن الربح للمسيحيين كان هائلاً. مع انهيار الخلافة، اكتشف الملوك الصغار الذين وصلوا إلى السلطة أنه لا يمكنهم إبعاد المسيحيين إلا من خلال الإشادة، وهي عملية وصفها **ماكاي** على نحو مناسب بأنها مضارب حماية.[1]

يبدو أن الكاتالونيين هم أول من ربح بهذه الطريقة. اتفق **الكونتس رامون بيرينغير الأول** من برشلونة (1035-76) و **إرمينغول الثالث** من أورغل في 1058 على تقاسم منبوذات سرقسطة، ثلثي الأول وثلث الأخير. مقابل 10.000 دينار، وافق **رامون بيرينغير الثاني** (1076-82) على الانضمام إلى مسلمي إشبيلية في غزو مورسيا، ولكن عندما فشلت الصفقة طالب 30.000 دينار كتعويض. وعد **بيرينغير رامون الثاني** (1076-97)، الذي جمع الجزية من سرقسطة ،حوالي 50.000 عملات ذهبية (تدفع بمعدل 5.000 في السنة) من منبوذات تورتوسا لاستعادة تاراغونا ". كما تلقى سانشو الرابع من نافارا (1054-76) 12.000دينارا سنويا من سرقسطة. كان التعداد السنوي الذي وعد به **سانشو الأول راميريز** للبابوية، بالإضافة إلى الهدايا الأخرى للكنائس والأديرة، مشتقًا من المنبوذين كما جمع الحكام الغربيون، **فرناندو الأول** و **ألفونسو السادس**، الجزية. وعلق شاعر مسلم مجهول قائلا: "الروم [المسيحيون] يشنون غارات على البلاد ويستولون على غنائم جيدة؛ يأخذون أموال العرب والخزانة. كل أموال البلاد تذهب إلى قشتالة ". عندما اشتكى شعب طليطلة من أنهم لا يستطيعون رفع الجزية، اقترح **فرناندو الأول** أن ينسحبوا إلى المغرب ويتركوا الأرض للمسيحيين الذين كانت تنتمي إليهم ذات مرة. قدر بيشكو أنه جمع جزية سنوية من حوالي 10000 إلى 12000 دينار ذهبي، بشكل رئيسي من سرقسطة و طليطلة و إشبيلية و بطليوس و فالنسيا. أتاح له **باراياس** حوالي 1055، أن يعد بإحصاء سنوي يبلغ 1000 عملة ذهبية، وهي أكبر هدية يتلقاها الدير من أي شخص. قبل وفاته خصص المنبوذين لأبنائه الثلاثة بعد الحصول على عوالم إخوته سنة 1072 من قبل **ألفونسو السادس** طالب القبائل من كل دولة من الدول الإسلامية، على حسب وصف الكاتب بهذه الطريقة:

لم يكن الزعماء المستقلون المختلفون في ذلك الوقت يشنون حربًا لا هوادة فيها ضد بعضهم البعض فحسب، بل لم يستفيدوا بشكل غير ملائم من أذرع المسيحيين لمهاجمة وتدمير مواطنيهم... "يغدق على هدايا الفونسو المكلفة، ويعطيه أكبر عدد من الكنوز التي اختارها، من أجل التوفيق بين رغباته الطيبة، والحصول على الأمن لأنفسهم والمساعدة ضد أعدائهم. ابتهج المسيحيون، وهم يدركون حالة الفساد التي وقع فيها المسلمون، فرحا شديدا.... وقد وافق الذين لم يخضعوا فعلا لألفونسو من بين حكام المسلمين، على دفع جزية سنوية له، وبذلك يكون هواة الجمع القادمون في سيطرتهم على عائدات الملك المسيحي".[2]

مكنت هذه المبالغ الهائلة ألفونسو السادس في عام 1077 من مضاعفة الجزية السنوية التي وعد بها والده وتأكيدها في عام 1090. بالإضافة إلى ذلك، بين عامي 1088 و 1090 أعطاه مبلغ 10.000 تسمى (Mencales) لبناء الدير الجديد، رفض **عبد الله** ، ملك غرناطة، في البداية مطالب **ليونس** بالتكريم، معلنا أنه لا يستطيع جمع 50.000 دينار المطلوبة دون تعريض مملكته للغزو من قبل ملك إشبيلية. وهكذا وافق ألفونسو السادس على قبول 25.000 دينار، وكذلك النسيج والملابس والمزهريات، 5.000 إضافي، أو ما مجموعه 30.000 في المجموع. كما وافق عبد الله على دفع جزية سنوية قدرها 10.000 دينارا بعد ذلك؛ إذا فعل ذلك على مدى السنوات القادمة من 1074 إلى 1086، فإن نفقاته ستبلغ 130.000 دينارا. عرض المعتمد من إشبيلية (1069-91) على ألفونسو السادس 50.000 دينار وكل الغنائم التي يمكن أن يأخذها إذا انضم في هجوم على

[1] Gambra, Alfonso VI, 2: 273–75, 295–98, nos. 105 (7 February 1190), 114 (31 March 1091); González, Alfonso IX, 2: 306–8, 547–48, 571–72, nos. 221 (February 1208), 433 (4 July 1223), 459 (28 July 1225); Claudio Sánchez Albornoz, "Notas para el estudio del Petitum," Estudios sobre las instituciones medievales españolas (México: Universidad Autónoma de México, 1965), 483-614; Procter, Curia, 25-29, 53-54.

[2] Bisson, Conservation, 199–200, no. 1 (4 April 1118), and Accounts, 1: 134–36, 140–43, and 2: 86, 198–99, 213, 240–42, nos. 27 (March c. 1174–75); 105 (11–12 August 1200), 115 (19 November 1205), 130 (30 December 1210); Kagay, Usatges, 107, app. 1, no. 4 (1118); CAVC, 1: 67, art. 18 (1188); CJI, 2: 6–8, ch. 50; Ferran Soldevila, "A propòsit del servei del bovatge," AEM 1 (1964): 573–88; Zurita, Anales, 1: 367, 478–79 (17 De- cember 1232).

غرناطة. في عام 1082، عندما أحضر المعتمد العملات المعدنية والسبائك لدفع الجزية السنوية المعتادة، أصر مبعوث ألفونسو السادس، اليهودي **ابن شليب**، على سك الذهب، و رفض السبائك لأنه يجب وزنها، والعملات لأنها كانت منقوصة.[1]

دفعت وقاحته المعتمد إلى إعدامه بعد خلع **القادر** من منصب **ملك طليطلة**، أعاده ألفونسو السادس إلى السلطة، مطالبًا بتكريم ثقيل. ما ترتب على ذلك من فرض ضرائب باهظة دفع شعب طليطلة إلى طلب المساعدة من أقاربهم المشتركة، ولكن عندما قبل ألفونسو السادس بازدراء الهدايا الغنية من مبعوثي اللوردات المسلمين الآخرين، أدرك الطليطيون(نسبة إلى طليطلة) أنهم لا يتوقعون أي مساعدة وسلموا مدينتهم في 1085. تم تجريد **القادر** من ممتلكاته في فالنسيا تحت حماية ألفونسو السادس. كما سعى **عثمان**، الذي طُرد من عرش **فالنسيا**، إلى حماية **ليونيز**، ووعد بتكريم سنوي قدره 30.000 دينارًا.

كما حصل ألفونسو السادس على مبالغ مالية كبيرة من **المقتدر** في سرقسطة و **المتوكل** في بطليوس (1068-94)، على الرغم من أن المبالغ غير معروفة. أثار دفع الجزية احتجاجًا من الشخصيات البارزة مثل **ابن حزم** من قرطبة (1064)، الذي وصف هذه الممارسة بأنها «فضيحة سيئة السمعة تتعارض مع قوانين الإسلام». حتى سقوط طليطلة، كان الأمراء المسلمون على استعداد لتقديم الجزية إذا كان ذلك سيحول دون عمل مضيفة ضدهم، ولكن أخيرًا المعتمد من إشبيلية، معلقًا على ذلك وقال أنه يفضل قطيع الجمال للمرابطين على رعاية خنزير الفونسو السادس، وناشد المغاربة. بعد هزيمة ألفونسو السادس في **الزلاقة**، استأنف **المعتمد** و **عبد الله** الدفع على أمل أن يخلصهما من الدخلاء المرابطين ؛ كان على ملك غرناطة أن يدفع 30.000 دينار، متأخرات ثلاث سنوات. استخدم المرابطون دفع الجزية لتبرير تجريدهم من الأمراء الصغار.[2]

في هذه الأثناء، تفرض إدارة اليد 105.200 دينار سنويًا من **القادر** في فالنسيا والأمراء المسلمين المجاورين، على النحو التالي: فالنسيا،: 12000، بالإضافة إلى 1200 أخرى للأسقف ؛ و **دينيا** و **جاتيفا** و **تورتوسا**، 50.000 -: **ألبراسين** و **ألبوينتي**، لكل منهما؛ 8.000 ماريفيدي لـ: **سيغورب**، ؛ **جيريكا** و **ألمينار**، 3000 لكل منهما ؛ 2000 من **ليريا**. بعد اغتيال **القادر** في عام 1092، سيطر **سيد** على فالنسيا حتى وفاته في عام 1099. خوفًا من ابتلاعه من قبل المرابطين، أرسل **حسام بن رزين**، ملك **ألبراسين**، هدايا عظيمة إلى **ألفونسو السادس**، لكنه أطيح به من مملكته في عام 1104. ربما أشاد **مستعين** سرقسطة أيضًا **بألفونسو السادس** لحمايته، لكن المرابطين استولوا على المدينة في عام 1110، وبالتالي عززوا قبضتهم على إسبانيا الإسلامية.[3]

6- منبوذا القرنين الثاني عشر والثالث عشر:

عندما طغى المرابطون على الطوائف، توقف دفع الجزية للمسيحيين. ومع ذلك، عندما تراجع **النظام المرابطي**، فرض المسيحيون الجزية على الجيل الثاني من **رياس دو تايفاس**. أحدهم، سيف الدولة (الذي أطلق عليه المسيحيون اسم **زفادولا**)، تكريمًا لألفونسو السابع، وقدم له العديد من الهدايا. في عام 1133، ناشد شعب إشبيلية سيف الدولة إقناع ألفونسو السابع بتسليمهم من المورابيين، ووعده «بتكريم ملكي أكبر مما قدمه آباؤنا لآبائه» ؛ ولكن لا شيء جاء منه. بعد أن دمر ألفونسو السابع على نطاق واسع في 1145 عرض المسلمون دفع «الجزية الملكية مثلما دفع آباؤنا له»، وقبلوا سيف الدولة حاكمًا لهم في قرطبة. في وقت لاحق من العام عندما رفض **بايزا** و **أوبيدا** طاعة سيف الدولة ورفض منبوذين لألفونسو السابع، أجبرتهم جيوشه مرة أخرى على الدفع. تشاجر سيف الدولة مع مساعدي الملك الذين قتلوه.

---

[1] Bisson, Conservation, 199–200, no. 1 (4 April 1118); Kagay, Usatges, 107, app. 1, no. 4, and 79, art. 62; Kehr, Papsturkunden, 2: 389-90, no. 76 (1155); Villanueva, Viage, 6: 241 (1174); Freedman, Vic, 77–78; Todesca, "What Touches All," ch. 7 and ch. 9.

[2] Bisson, Conservation, 81–85, 201, no. 3 (c. 1174); Sánchez Casabón, Alfonso II, 264–65, no. 184; Kehr, Papsturkunden, 1: 559, no. 238 (4 September 1191); Todesca, "What Touches All," 341.

32. DP, 199–200, nos. 183–84 (5 April 1199); Thomas N. Bisson, "Sur les origines du monedatge: Quelques textes inédits," Annales du Midi 85 (1973): 99-100, no. 1 (1197), and Conservation, 86–86, 90, 203–4 no. 6 (5 April 1199).

[3] González, Alfonso IX, 2: 236–37, no. 167 (March 1202), and Alfonso VIII, 3: 702-4, no. 986 (4 September 1215); Procter, Curia, 54-57, 82–85; O'Callaghan, Cortes, 133-35.

كما أشاد **رامون بيرينغير الرابع**، كونت برشلونة و أمير أراغون، بالمسلمين. في عام 1149، وافق **ابن ماردانش**، الذي سيطر على فالنسيا و مورسيا، على دفع جزية سنوية هائلة قدرها 100.000 دينار ذهبي. عندما فشل في الوفاء بتعهده في 1158 استعراض القوة، شجعه على القيام بذلك، لكنه رفض مرة أخرى الدفع عندما قام ألفونسو الثاني.[1]

قررّ والده. بحلول عام 1168، أن يجبر على دفع 25.000 مارافيدي، وهو انخفاض ربما يعكس انكماش سيادته قبل تقدم **ألمو**. عندما اجتمع ملوك قشتالة و أراغون في عام 1170 اتفقوا على أن يدفع **ابن ماردانش** لألفونسو الثاني 40.000 من الذهب لمدة خمس سنوات أو أكثر، ولكن هذه التوقعات كانت محكوم عليها بالفشل عندما توفي **ابن ماردانش** في عام 1172. على الرغم من أن ابنه وعد بالإشادة، إلا أن خضوعه للموحدين أغلق مصدر الإيرادات هذا.

خلال صعود الموحدين من الربع الأخير من القرن الثاني عشر إلى الربع الأول من القرن الثالث عشر، لم يتمكن الحكام المسيحيون من فرض الجزية، ولكن مع تجزئة إمبراطورية الموحدين نشأت الاحتمالية مرة أخرى. عندما أصبح **أبو زيد**، ملك فالنسيا، وشقيقه **البياسي**، ملك **بايزة**، تابعين **لفرناندو الثالث** في 1224-1225، ربما وافقوا على دفع الجزية. في وقت ما من عام 1225، وافق **أبو زيد**، على أمل إحباط هجوم من قبل خايمي الأول، على دفع خمس إيراداته كتقدير. بعد ست سنوات، اعترف مسلمو **مايوركا بخايمي الأول** كسيادة لهم وتعهدوا بدفع جزية سنوية قدرها تسعون مقياسًا من الشعير و 100 من القمح ؛ 100 رأس من الماشية ؛ و300 رأس ماعز ؛ 200 رأس من الأغنام ؛ وقياسان من شحم الخنزير أو الزبدة.[2]

جمع فرناندو الثالث المنبوذين من أربعة ملوك مسلمين: **أبو العلا** من إشبيلية، و **ابن حود** من مرسية، و **ابن محفوظ** من نيبلة، و **ابن الأحمر** من غرناطة. عندما أدرك أبو العلا، الذي أعلن نفسه خليفة في عام 1227، أنه يفتقر إلى دعم واسع، طلب من فرناندو الثالث هدنة، وتعهد بالإشادة. ذكرت **كرونيكا دي كاستيا**، التي كتبت في عهد **ألفونسو العاشر**، أنه في عامي 1228 و 1229 دفع 300.000 مارافيدي فضي، عملة ألفونسو العاشر، لإجمالي 600.000. فيما يتعلق بالمارافيدي الذهبي لفرناندو الثالث الذي سيتم 150.000 كل عام، أو 300.000 جميعًا. ومع ذلك، فإن رحيل **أبو العلا** إلى المغرب لم يسهل انهيار حكم **آل محمد** في إسبانيا فحسب، بل أنهى مدفوعاته أيضًا.

قام أحد منافسي **ابن حود**، بعقد هدنة مع فرناندو الثالث في حوالي عام 1233، ووعد بدفع 1.000 دينار كل يوم، أو 365.000 دينارًا على الأقل لذلك العام. بعد عامين، وفقًا للمستشار الملكي، **الأسقف خوان** من أوسما، المؤلف المحتمل لـ: (Latin Chronicle)، تعهد **ابن حود**، بعد المزيد من الأعمال العدائية، بدفع 430.000 مارافيدي بحلول مايو من العام التالي، 1236 ؛ ودفع على الفور حوالي ثلث ذلك المبلغ (نحو 143.000) ؛ وثلث آخر (143.000) كان مقررا في نهاية أيلول/سبتمبر والثلث الأخير (143.000) في نهاية كانون الثاني/يناير. وذكر **ابن إدهري** أن المبلغ كان 133.000 دينار مستحق الدفع على مدى ثلاث سنوات، و 50.000 دفعة واحدة، والباقي بمبالغ متساوية في العامين المقبلين. إذا كانت هذه الأرقام دقيقة، فسيكون دينار واحد يساوي 3.23 مارافيدي تقريبًا، وسيكون إجمالي الجزية 429.590 مارافيدي.[3]

---

[1] Thomas N. Bisson, "An 'Unknown Charter' for Catalonia (d. 1205)," in Al- bum Elemér Mályusz (Brussels: Librairie Encyclopedique, 1976), 61–76, and Conserva- tion, 88–96; CDACA, 8: 106, no. 39 (1 March 1209); Zurita, Anales, 1: 313–14.

[2] DJI, 1: 44–46, 96–101, and 2: 385–88, nos. 13 (5 September 1218), 41 (18 March 1223), 42 (19 April), 238 (15 October 1236); Ángel Canellas López, Colección diplomática del Concejo de Zaragoza, 1119–1276, 2 vols. (Zaragoza: Catedra Zaragoza de la Universidad, 1972), 1: 140–42, no. 49 (1221); CJI, 4: 82–83, ch. 230; Zurita, Anales, 1: 509, 545, 560.

[3] . PMH Leges 1.2: 183 (1254), 188 (1250), 192 (1253), 196–97 (18 March 1255), and (16 March), 202–10 (1261); Herculano, Hiistória, 5: 133–35, 149–52, 167–73; Claudio Sánchez Albornoz, La curia regia portuguesa: Siglos XII y XIII (Madrid: Junta para Ampliación de Estudios e Investigaciones científicas, 1920), 156–58.

في الأساس نفس الرقم الذي قدمه المستشار الملكي. من المحتمل جدًا أن يكون **ابن حود** قد دفع القسط الثاني في سبتمبر 1235، ولكن من المحتمل أن الدفع توقف بعد أن اقتحم القشتاليون قرطبة بعد شهرين. وهكذا، تلقى فرناندو الثالث 286.000 مارافيديس نتيجة الهدنة التي تم ضربها في مايو 1235. في غضون ذلك، حافظ **ابن محفوظ** من نيبلة أيضًا على هدنة، وربما دفع منبوذًا(جزية) من 1235 إلى 1261 عندما حاصر القشتاليون نيبلة. من المحتمل أنه دفع أقل من **ابن حود** و **ابن الأحمر**، اللذين كانت مملكتهما أكثر اتساعًا.

بعد سقوط قرطبة، وعد **ابن حود**، الذي أبرم هدنة أخرى لمدة ست سنوات، بدفع كل ربع 40.000 مارافيدي بالإضافة إلى 12.000، ليصبح المجموع 52.000. سيتم إعطاء جزء معين من ذلك (ربما 12000 كما اقترح غونزاليس) لمنافسه، ابن **الأحمر**، المتحالف حاليًا مع قشتالة. سيكون التكريم السنوي 280.000 مارافيديس، والتي ربما تم تسليم 48.000إلى **ابن الأحمر**، غير أن الكاتب المغربي **ابن أبي زرع**، الذي كتب في نهاية القرن الثالث عشر، نص على أن الهدنة كانت لمدة أربع سنوات وأن الجزية كانت ثابتة عند 400.000 دينارا سنويا، وهو رقم يبدو خاطئا تماما. مرة أخرى، أعتقد أن الأرقام التي قدمتها المستشارة الملكية هي الأفضل. "

و مع ذلك، كان إجمالي 200.000 مارافيدي أقل بكثير من 430.000 التي و عد بها **ابن حود** في عام 1235. ربما يكون الاختلاف البالغ 220.000 مارافيدي قد نتج عن حقيقة أن ابن حود لم يعد يحكم قرطبة. ربما تلقى فرناندو الثالث ما مجموعه 200.000 مارافيدي في 1236 و 1237، أو 416.000 الجميع، ناقص 24.000 (12.000 كل عام) التي أعطيت **لابن الأحمر**، لشبكة من **392.000** مارافيديس. تم إنهاء ينبوع الدخل هذا باغتيال **ابن حود** عام 1238. [1]

عندما قدم بنو هود، أمراء مورسيا، إلى **إنفانتي ألفونسو** ابن فرناندو الثالث في عام 1243، تعهدوا بالتنازل عن إيراداتهم، مع استثناءات معينة. على الرغم من عدم وجود معلومات محددة، إلا أن غونزاليس قد اكتشف أن قشتالة تلقت ما لا يقل عن نصف الإيرادات السنوية المورسية.

بعد سقوط جين في عام 1246، أبرم فرناندو الثالث هدنة لمدة عشرين عامًا مع ابن الأحمر، ملك غرناطة، الذي أصبح تابعًا له، ضامنًا تكريمًا سنويًا 150 000 مارافيديس. على افتراض أن هذا المبلغ تم دفعه في عام 1246, 1247، 1248، كان فرناندو الثالث قد 450 000 mar- avedís تحت تصرفه لحصار إشبيلية. أعادت صحيفة وقائع ألفونسو العاشر نقل أن الملك المسلم وافق على دفع نصف إيراداته، المقدرة بنحو 600.000 مارافيدي، أو 300000. ربما تم الضغط على قيمة الجزية من حيث المارافدي اللاحق لألفونسو العاشر، وبالتالي فإن رقم 150.000 مارافيدي الذي قدمته هو أكثر دقة، كما حصل الملك على أموال من مسلمين آخرين. على سبيل المثال، عندما استسلم **بريبغو** 1225 اشترى المسلمون حريتهم مقابل 40.000 مارافيديس. بعد عشر سنوات، استسلمت سان إستيبان وسلمت المال والخيول والبغال. حوالي عام 1246، تعهد **خيريز** أيضًا بدفع قبيلة سنوية ثابتة كل عام، لكن المبلغ غير معروف. تعهد مسلمو كارمونا في عام 1247 «بتكريم معين» لمدة ستة أشهر ؛ وإذا لم يتلقوا خلال تلك الفترة أي مساعدة من زملائهم المسلمين فسوف يستسلمون. كلما خضع المسلمون للحكم المسيحي، كان من المتوقع منهم أن يقدموا تحياتهم العرفية للمسيحيين.

7- القروض:

بالإضافة إلى جميع أنواع الدخل الأخرى المذكورة أعلاه، كثيرا ما اقترض الحكام المسيحيون المال لتلبية احتياجاتهم. قد يكون الجنود قد رهنوا ممتلكاتهم للكنائس والأديرة من أجل جمع الأموال. لم يكن كل قرض مرتبطًا على وجه التحديد بضرورات إعادة السعي، ولكن من الواضح أنه كان يلوح في الأفق بشكل كبير في ميزانيات جميع الأمراء المسيحيين. رامون بيرينغير الرابع، على سبيل المثال، «العمل في حصار تورتوسا من أجل شرف الله وزيادة العالم المسيحي المقدس»، واستعار 50 حمالات الصدر من الفضة من كاتدرائية برشلونة،

[1] Olivia Remie Constable, Trade and Traders in Muslim Spain: The Commerical Realignment of the Iberian Peninsula, 900–1500 (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), 9, n. 14: "The term paria derives from either the Arabic bara' (to be free, acquitted, cleared [of debt] or bara' (which in some forms means to donate, give or concede)."

وحصل أيضًا على قرض من 700 سوليدي من **بورجر المدينة**. في أعقاب معركة ألاركوس سانشو السابع ملك نافارا استعار 70.000 **سولدوس** من أسقف **بامبلونا** للدفاع عن مملكته ضد غزو قشتالة و أراغون.38

فقد نص ألفونسو الثامن في وصيته 1204 على أن جميع دائنيه ينبغي أن يدفعوا لهم ما يصل إلى مبلغ 90.000 مارافيدي ؛ سيضطر منفذوه إلى تحقيق أي نفقات فوق ذلك. كما أمر بدفع رصيد 12.000 مارافيدي على دين 18.000 مستحق ، اليهودي **أبو عمر بن شوشان**، وهو مسؤول عن الإشراف على حساباته، بالإضافة إلى قرض بمبلغ غير محدد قدمه **إستيبان إيلان**، اعترافًا بأن يهود زوريتا «خدموا والدي جيدًا بالمال، لأنه حدث أن كان لديه احتياجات كثيرة في وقته»، أعفاهم إنريكي الأول من الجزية. وعلى الرغم من أن **ألفونسو الثاني** ملك البرتغال أمر بتسديد ديونه قبل توزيع أي وصايا، فإنه لا يوجد إلا القليل من المنطق الذي شارك فيه بنشاط في إعادة السحب، لذلك من الصعب أن يعزو مديونيته إلى هذا السبب. يمكن قول الشيء نفسه عن بند مماثل في وصية سانشو الثاني.[1]

اقترض ألفونسو الثاني من أراغون بشكل متكرر، خاصة من **تيمبرالاس**، وفي وصيته 1194 نص على سداد ديونه المستحقة. كان ابنه، بيدرو الثاني، مقترضًا راسخًا، مديونيته الإجمالية وكثيرا ما تجاوز 200.000 للسنة **لتاج أراغون**؛ في عام 1209، كان مدينًا بما لا يقل عن 271.411 دينار في كاتالونيا، وحوالي 100.000 سنويًا من حوالي 1209-13. وشملت تلك الديون 20.000 مارافيدي مقترضة من **سانشو السابع** من **نافارا** في عام 1209. قبل بضعة أشهر من إعارته **لاس نافاس سان- تشو** السابع 10.000**المازمودي الفضي**. نظرًا لأن العديد من ديون **بيدرو الثاني** لم يتم سدادها وقت وفاته، أمر **إنوسنت الثالث** بتحصيل الديون من المدن الكتالونية و الأراغونية لإسترداد الأراضي التي تعهد بها الملك.

كما اقترض خايمي الأول باستمرار وفي وصيته لعام 1232 أمر منفذيه بسداد جميع ديونه، والتي من الواضح أن بعضها نشأ من الحروب الصليبية **مالوركان** و **فالنسيا**. أثناء حصار مايوركا في عام 1229، قام بتجميد مكتبات 60.000 من التجار المرافقين للمضيف، مع وعد بالدفع بمجرد الاستيلاء على المدينة. أثناء حصار **بوريانا**، ضمن الهيكل والمستشفيات قرضًا من 60.000 لتمكينه من الاحتفاظ بسفينتين تزودان جيشه. بعد الاستيلاء على Puig de la Cebolla، مع أنه يحتاج إلى قمح لمدة ثلاثة أشهر، ونبيذ لمدة ستة أشهر، ولحم ملح وشعير لمدة شهرين ؛ من أجل الدفع لموردية اقترض 60.000 من كبار رجال **ليدا**. التفت إلى مونبلييه للمساعدة في تغطية نفقاته في غزو فالنسيا، ولكن ما إذا كان قد حصل على قرض أو منحة صريحة غير معروف.[2]

كما لجأ العديد من الأشخاص ذوي الرتب الأقل إلى مقرضي الأموال للمساعدة في التعامل مع النفقات المتكبدة في الاسترداد. على سبيل المثال، طلب **هونوريوس الثالث** من الهيكل في عام 1223 إعفاء **بيدرو ألفيتيز**، سيد الهيكل في إسبانيا، من الديون المتعاقد عليها في الكفاح ضد المسلمين. كثيرا ما دخل الأساقفة والأوامر العسكرية في ترتيبات مالية مع المصرفيين **التوسكانيين** أو **اللومبارديين**. في عام 1238 قامت **وسام سانتياغو** بتسوية ديون 830 و 30 مارافيدي تعاقدت مع مصرفيين في **سيينا**(مدينة في إيطاليا). خلال مجلس ليون في سبتمبر 1245، اقترض **بيلاي بيريز كوريا**، سيد سانتياغو، 1000 علامة إسترلينية، مستحقة الدفع في باريس في يونيو التالي. ومع ذلك، فقد فشل في الوفاء بهذا التاريخ وتم توبيخه من قبل الملك بعد ثلاث سنوات ؛ كان عليه أيضًا أن يدفع 200 ليفر(عملة إيطالية). [3]

---

[1] José María Lacarra, "Aspectos económicos de la sumisión de los reinos de taifas (1010-1102)," Homenaje a Jaime Vicens Vives, 1: 254–77, reprinted in his Colo- nización, parias, repoblación y otros estudios (Zaragoza: Anubar 1981); MacKay, Spain, ch. 1; Kennedy, Muslim Spain, 124-29.

[2] José María Lacarra, "Dos tratados de paz y alianza entre Sancho el de Peñalén y Moctadir de Zaragoza (1069 y 1073)," Homenaje a Johannes Vincke, 2 vols. (Madrid: CSIC, 1962–1963), 1: 122–34, and Documentos, 1: 472, nos. 2 (1091), 3, 94 (1086–1094); Menéndez Pidal, España, 1: 206, 356, 376–88, 941–44, and 2: 712–13; Kehr, "Cuándo y cómo," 304, 319-20; Ibn al-Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, in al-Maqqarī, His- tory, 2: xxix.

[3] Crónica del Obispo Don Pelayo, 73, 80; Historia Silense, 197-98, 202, 206–7, ch. 93, 95, 99–100, 104–5; Al-Himyarī, Kitāb, 324; Alexandre Bruel, Recueil des chartes de l'Abbaye de Cluny, 6 vols. (Paris: Imprimerie Nationale, 1876–

بطولات أخرى اقترضها وكيل الأمر في روما ففي عام 1253، أذن البابا للمدعي العام بالحصول على قروض بحد أقصى 100 ليفر. وفي غضون ذلك، هدّد مندوب القضاة البابويين بحرمان **السيد كنسيا** لعدم دفعه أجرا ؛ في 1258 رفع الكسندر الرابع الحظر نظرًا لمدى استعارة الملوك والأساقفة والأوامر العسكرية الأخرى، يبدو من المعقول افتراض أن فرناندو الثالث فعل ذلك أيضًا على الأرجح من اليهود في مملكته، وخاصة أولئك الموجودين في طليطلة. لا يوجد أبدًا، السجلات التي تشير إلى مثل هذه القروض غير متوفرة. في عدة مناسبات حصل على المال عن طريق **مانليفا**، أي قرض. في أوائل عام 1238 قام بإنفاق 25.000 مارافيدي في توليدو لإعالة شعب قرطبة، وكمية متساوية لتوزيعها بين القلاع الحدودية. دفعته التقارير المستمرة عن البؤس إلى الحصول على مانليفا أخرى في توليدو، ربما في أبريل ؛ مرة أخرى في الصيف كان عليه أن يقدم دعمًا إضافيًا للمجموعات في قرطبة والدفاع عن الحدود. في يوليو 1243، اشترى مانلييفا أخرى في توليدو لخلافة قرطبة وأيضًا لمساعدة ابنه، ثم قبل تقديم مورسيا.[1]

في هذه الحالات الثلاث، يبدو من المرجح أن فرناندو الثالث اقترض من يهود طليطلة، ربما من عائلة **ابن شوشان**، الذين خدموا التاج كمجارف وجباة ضرائب. المستشار الملكي، الأسقف خوان من أوسما، باسمه أو باسم الملك، اقترض منهم، بما في ذلك 3.000 مارافيدي مستحق للمجاريف الملكية «من قبل الملك»، و 2148 مارافيدي «كقرض قسري». وشملت الديون الأخرى 2500 مارافيدي مستحقة **لأبو لافية** ؛ 200 مارافيديس (زائد 60) مدين **لدون داود**، و 500 لزوجة **الفاقي** دون **يوسف** وأطفاله. ربما أيضًا، كان **دون زليمة**، مبعوث الملك الذي أرسل لجمع المنبوذين من ملك غرناطة، من بين الدائنين الملكيين. العديد من اليهود (معظمهم من طليطلة) ذكروا في تفكيك الأراضي في إشبيلية في عام 1252 واستقروا في باتيرنا، التي أعيدت تسميتها Aldea de los Judíos del Rey، على الأرجح وكفؤوا على إقراض المال للملك. وكان من بينهم: **زاغ الموجاريفي**، أبناؤه **موس، زاغ، إبراهيم**، و **يوسف** ؛ و **الفاقي يوسف** وابنه **جوزيف** ؛ **زيزا**، الفاقي، و زليمة، والد **زاغ دي لا ماليها**، محصل الضرائب في عهد ألفونسو العاشر.

8- إمبريستيتوس :

بصرف النظر عن هذه التطورات، طالب فرناندو الثالث أيضًا بقروض قسرية من المدن لتمويل غزو إشبيلية. خلال الحصار، في 21 يونيو 1248، طلب مساعدة غير عادية أو **إمبريستيتو** من جميع المدن **الغاليسية**. تم تسمية 22 مدينة بشكل فردي، بما في ذلك **سانتياغو دي كومبوستيلا**، و **أورينسي**، و **لوغو**، و **توي**، و **موندونيدو**، وجميعها احتفظ بها أساقفة، والعديد من المدن الأخرى التي تعتمد مباشرة على الملك. وأعلن أنه في العمل من أجل «تمجيد العالم المسيحي»، تكبد نفقات سابقة أكبر من أي ملك في إسبانيا، وطلب من المدن إقراضه بالمال بمعدل 5 في المائة من دخل كل فرد. أي شخص يساوي 1000 مارافيدي. و إقراض 50، كان المعدل على 25.500 مارافيدي، وعلى 300 سيكون 15. لم يُطلب أي شيء من أولئك الذين كانت ثروتهم أقل من 300 مارافيدي. واعترف بأنه لا يمكنه المطالبة بهذه المساعدة كمسألة حق.[2]

و وصف هذا بأنه إفراغ أو قرض، وعد بسداده عندما فرض **مونيدا** بعد ذلك. إذا تم فرض مونيدا فوريرا في مملكة ليون كل سبع سنوات من عام 1202، فسيتم جمعها مرة أخرى في عام 1251. و بالتالي، فإن أولئك الذين

1903), 4: 809; Chroni- con Compostellanum, ES 23: 327; Lucas, Chronicon, 4: 96; Dozy, Recherches, 161–62, 223, 225-26; Menéndez Pidal, España, 1: 135–45, 151–53, 166; Hilda Grassotti, "Para la histo- ria," in her Miscelánea, 135–225, and Instituciones, 2: 739–42; Charles Julian Bishko, "Fernando I and the Origins of the Leonese Castilian Alliance with Cluny," in his Studies in Medieval Spanish Frontier History (London: Variorum, 1980), No. II, and "Liturgical Intercession at Cluny for the King-Emperors of León," Studia Monastica 3 (1961):53–76.

[1] Ibn al-Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, in al-Maqqarī, History, 2: xxvii-xxviii. 43. Bruel, Cluny, 4: 627-29, 697-98, 809–10, nos. 3509 (10 July 1077), 3562 (c. 1080), 3638 (Easter 1090).

[2] The Tibyan, 104, 130–33, ch. 6, 8; Historia Roderici, 49–51, ch. 7–9; Al-Ḥulal, 55; al-Maqqarī, History, 2: 270-73; Menéndez Pidal, España, 1: 257–58, 299–300; Kennedy, Muslim Spain, 146–49; Reilly, Alfonso VI, 83–84.

أقرضوا المال في عام 1248 سيضطرون إلى الانتظار ثلاث سنوات على الأقل قبل سداده، ولم يقل الملك شيئًا عن دفع الفائدة. إذا كان هناك أي خلاف حول قيمة أي شخص، فقد تم تفويض المجلس البلدي بانتخاب ستة محلفين من كل أبرشية للقيام بذلك. أي شخص يرفض الدفع سيتم تغريمه 100 مارافيدي وسيكون جسده وبضائعه تحت رحمة الملك. تم تكليف **بورتيرو الملك، دومينغو بيريز دي تورو**، بمهمة جمع الأموال.

لا يمكن التأكد من عدد سكان البلدة الجاليكيين الأثرياء بما يكفي للمساهمة. و وضعا هذا في الاعتبار، إذ حُدد راتب عميد **آس- تورغا** بـ 500 ذهبي أوري ؛ تلقى الشمامسة 400؛ وأمين الصندوق و الكانتور 300 لكل منهما ؛ مارافيدي250 ، و كل قانون بـ: 100. بعد عامين من وفاة والده، حدد ألفونسو العاشر رواتب الأستاذية في **جامعة سالامانكا** على النحو التالي: ماجستير في القوانين المدنية، 500 مارافيدي، ماجستير في التخفيضات، 200 ؛ وأساتذة المنطق والقواعد والطب، 200 لكل منهم ؛ و القرطاسية 100 ؛ واثنان من الحراس، 200 لكل منهما. يمكن تقييم تأثير ضريبة 50, 25، أو 15 مارافيدي على الفرد إذا تمت مقارنة هذه المبالغ بالأسعار المحددة في كورتيس إشبيلية في عام 1252، بعد أربع سنوات فقط من طلب فرناندو الثالث على أمبرسيتيتو. تم تحديد سعر الأسلحة والسرج والقبعة الحديدية عند 20 مارافيدي، وسرج، ولجام، وصدر للخيول الحربية، عند 35. يمكن أن يكون سعر الحصان الجيد 200 مارافيدي، وكانت الخسائر على الماشية بقرتين من كل 1000، كل منها تساوي 4 مارافيدي، وكان غطاء رأس المرأة الحريري 3 مارافيدي.

جادل **غراسوتي** بأن المطلب الملكي للمدن **الجاليكية** في 1248 لا ينبغي اعتباره مثالًا معزولًا، إذ يرى غراسوتي بأن سابقة ذلك قد وضعها ألفونسو التاسع في عام 1204، عندما سأل، بموافقة أسقف أورينسي، شرائع ومواطني أورينسي عن مبالغ معينة. و وعد بالسداد، وأكد لهم أنه لن يحق له هو ولا خلفائه الحصول على مثل هذه الضغوط في المستقبل دون موافقة الأسقف. لم يشر فرناندو الثالث، مثل والده، إلى التفويض الأسقفي. على الرغم من عدم وجود أدلة مستندية، يبدو من المعقول افتراض أن ألفونسو التاسع قدم مطالب مماثلة في مناسبات أخرى وأن فرناندو الثالث فعل ذلك قبل 1248. يمكن للمرء أن يجادل أيضًا بأنه طلب بلدات أخرى في ليون و قشتالة، شمال **دويرو**، والتي لم تكن تقدم ميلي.[1]

في المجهود الحربي، لتقديم مساهمات مماثلة. ربما طُلب من البعض تقديم أموال لأسطول **رامون بونيفاز**. في عام 1258، على سبيل المثال، وعد أوفييدو ألفونسو 1200 مارافيديس لأسطوله. ومع ذلك، فإن المدن القشتالية و الإكستريمادورية التي ذهبت ميليشياتها إلى الحدود لم تكن مطالبة أيضًا بالمساهمة بالمال

حتى بعد عام 1248، يبدو أن الملك قد طلب **إمبريستيتوس**، كما تشير العديد من مواثيق ابنه. تعهد ألفونسو العاشر لبرغوس في عام 1255 بأنه لن يطلب «أي قرض قسري دون موافقتك» يعني أن هذه الممارسة استمرت وربما كانت أكثر تواترًا خلال عهد فرناندو الثالث مما يشير إليه المثال الوحيد من 1248.

علاوة على ذلك، اشتكى ممثلو ليديسما **و بلد الوليد** و **سالامانكا** و **ريبادافيا** من أن التجار عانوا بسبب إمبريستيتوس فرناندو الثالث. في 1255 أعلن ألفونسو العاشر أنه في المستقبل لن يتم أخذ أي إمبريستيتو دون موافقة. وهكذا، يمكن للمرء أن يستنتج أن فرناندو الثالث طالب بالممارسين على الأقل من بعض مدن **غاليسيا** و **ليونيس إكستريمادورا** و قشتالة القديمة، التي لم تشارك مباشرة في الحرب ربما كانت المبالغ التي تم جمعها من **الإمبريستيتو الغاليسية** منقوشة في الحسابات التي قدمها دومينغو بيريز دي تورو في إشبيلية في عام 1251. جمعت مجموعاته من 1245 إلى 1251، 141إلى442 مارافيديس. وشمل ذلك الدورة العشرين ؛ والقروض القسرية؛ وإشادة من المجال الملكي ؛ والمدفوعات بدلا من توفير وحوش العبء؛ التيرسيا، و الابتزازات على اليهود. إذا تم تقسيم مجموعه بالتساوي على مدى ست سنوات، فسيصل إلى حوالي 23500 مارافيدي سنويًا. نظرًا لأنه من غير المحتمل أن يكون جامع الضرائب الملكي الوحيد، فإن دخل الملك ليونيز في أي عام كان

[1] Rodrigo, Historia, 204–5, Bk. 6, ch. 22; al-Maqqarī, History, 2: 262–64; Ibn al- Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, ibid., 2: xxix-xxxi.

سيكون أكثر من ذلك بكثير. علاوة على ذلك، ربما كان الدخل الملكي من قشتالة، الأكثر اتساعًا واكتظاظًا بالسكان و أكبر.[1]

و أي محاولة لتقييم وسائل تمويل حروب الاسترداد والحرب الصليبية لا يمكن إلا أن تكون محبطة، كما يوضح العرض السابق. بدون سجلات مالية مفصلة، حتى لمدة عام أو عامين، لن نفهم أبدًا بشكل مرض الشؤون المالية الملكية في المركزين الثاني عشر والثالث عشر.

خلاصة الفصل

ومع ذلك، هناك بعض الاستنتاجات التي يمكن للمرء أن يستخلصها. كانت تكاليف الحرب هائلة ولم يكن من المحتمل أن يتم تغطيتها من خلال الإيرادات أو الأعلاف أو الغنائم. انخرط ملوك إسبانيا المسيحيون في صراع شبه مستمر ضد الإسلام، واحتاجوا إلى تدفق مستمر من الدخل غير العادي. في الواقع، من المرجح أن تظهر الميزانية الملكية أن الجزء الأكبر من الإيرادات قد تم إنفاقه على الحرب. منح الكتالونيون البوفاتيك لمساعدة الملك في تغطية تكاليف الحرب ضد المسلمين. في مقابل تعهد بعدم تغيير العملة، حصل الملوك المسيحيون على المونيدا فوريرا كل سبع سنوات ؛ لقد استثنوا الإمبريستيتوس واستعاروا بشكل مكثف، أكثر مما تكشفه الأدلة المستندية. سمحت لهم البابوية، وهم يعرفون دورهم كصليبيين، بالاستفادة من الإيرادات الكنسية في شكل تيريكاس والإعانات العرضية من قبل الكنيسة. قبل كل شيء، قاموا بممارسة المنبوذين، بالتأكيد أحد أكبر الأجزاء للحصول على جزء من **رييباس دو تيفاس**(مدينة) خلال فترات التفكك في إسبانيا الإسلامية. بدون الكثير من المبالغة، يمكن للمرء أن يستنتج أن الملوك المسلمين مولوا تدميرهم.

[1] The Tibyān, 130–31, ch. 8; Ibn Khaldūn, Histoire, 2: 81; al-Maqqarī, History, 2: 270, Ibn al-Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, ibid., 2: xxxiv, xl; Historia Roderici, 60, ch. 29; PCG, 2: 559, 565, ch. 890, 896; Menéndez Pidal, España, 1: 393, 395–96, 406; Grassotti, Insti- tuciones, 2: 742–50.

الفصل الثاني

تمهيد :

تعتبر منطقة الشرق الإسلامي التي أسست فيها المملكة الصليبية مدنها وقلاعها مصدر التمويل الأساسي الذي اعتمدت عليه هذه المملكة في الشرق، على الرغم من تدفق الموارد الغربية بين الحين و الآخر .

وقد اعتمدت المملكة الصليبية على عدة أسس لتحقيق مواردها، فكانت هذه الموارد على شكليين رئيسيين هما الموارد الثابتة المستمرة كالضرائب والإتاوات السنوية وعوائد الأراضي الزراعية، والموارد المؤقتة التي كانت الحروب والغارات على رأسها، وذلك لما تحققه الغنائم والأسلاب من كسب سريع يرفع من معنويات المقاتلين الصليبيين، ويوفر للأمراء أموالاً تلبي احتياجاتهم الطارئة .

وستبين الدراسة في هذا الفصل الدور الذي لعبته منطقة الشرق بشكل عام في تمويل الحملات الصليبية من خلال الموارد المستمرة أو المؤقتة، إذ ستغطي الدراسة المنطقة الممتدة من البوابات السورية (المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى الرها) شمالاً إلى مصر جنوباً، وذلك من خلال تقسيم الفصل إلى عدة محاور وهي: موارد مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية من المدن الشامية، ودور موانئ مدن الساحل الشامي في تمويل القوات الصليبية، ودور مصر وساحل البحر الأحمر في تمويل القوات الصليبية .

1- موارد مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية من المدن الشامية :

لا بد من توضيح الحالة الاقتصادية التي عاشتها مملكة بيت المقدس خلال مراحل وجودها في الشرق والتي كانت المحرك دوماً نحو الحروب والغزوات على المدن والأرياف المجاورة، حيث كانت الغارات على الأرياف والمدن تشكل أهم الموارد الداخلية للمملكة الوليدة التي تعتبر مصدر تمويل مؤقت يستخدم في الحالات الطارئة، وذلك من خلال قيام الصليبيين في كثير من الأحيان بإبطال العهود والاتفاقيات المبرمة مع المسلمين في سبيل تحقيق هذا الكسب السريع، إذ كان هذا الكسب في حسبة السلف الطارئة التي تلجأ إليها هذه المملكة وإماراتها عندما تقل مواردها الثابتة، وسيَعرِضُ جدول مفصل كامل هذه العمليات في نهاية هذا المبحث.

وتشير هذه العمليات إلى النقص المستمر في الواردات الثابتة للمملكة الصليبية وإماراتها، كما سيبين الجدول استخدام الصليبيين لأسلوب حصار المدن للحصول على إتاوات مستمرة منها بموجب الاتفاقات مع سكانها، وهذا يظهر تغيراً في نهج الدولة الصليبية في نصف القرن الثاني عشر الميلادي، التي لم تعط السيطرة على المدن الإسلامية الأهمية ذاتها التي كانت تريدها من قبل، بسبب قلة الجنود والفرسان في إمارات المملكة الصليبية، واستعاضت عن هذه السيطرة بالحصول على الأموال بموجب الاتفاقيات المعقودة التي تجبر المدن الإسلامية على

التقيد بها من خلال وجود النفوذ الصليبي في الحصون والقلاع القريبة والتي تقوم بالغارات على هذه المدن عندما تتأخر في دفع الأموال المتفق عليها.

ويلاحظ عند استعراض المعلومات الواردة في الجدول أن معظم الحالات التي سيطرت فيها القوى الصليبية على المدن الإسلامية بعد سقوط القدس في أيديهم كانت بمساعدة قوات جديدة قادمة من الغرب.

ومن الدلائل على نقص العنصر البشري في هذه المملكة، إجراءات الملوك الصليبيين في نقل المسيحيين الشرقيين الذين كانوا بالأساس على خلاف عقائدي معهم من مدن تقع شرق نهر الأردن قسراً إلى القدس بعد سيطرتهم عليها [1].

وقد كانت الأرض المحيطة بعاصمة المملكة، وهي القدس، في أغلبها مجدبة والتربة بها خفيفة، وقد خلت مدنها في بادئ الأمر من الصناعات الكبيرة، وحتى عندما بلغت المملكة أوج عظمتها لم يكن ملوكها في مصاف كبار الأثرياء مثل كونت طرابلس أو أمراء أنطاكية، إذ كانت الضرائب هي المصدر الرئيسي للثروة[2]، بالإضافة إلى غنائم الحرب التي تُقس أم على جميع الأمراء المشاركين فيها[3]، إذ أدرك الصليبيون غنى أراضي الشام وتنوع مزروعاتها الأمر الذي جعلهم يكثرون من غاراتهم عليها .

أما الأراضي الخصبة في مؤاب[4] والجولان[5] في الأردن فكان منفذها الطبيعي عن طريق موانئ الساحل الفلسطيني، إذ كانت البضائع المنقولة من سوريا إلى مصر تسلك الطرق الفلسطينية[6] ، وقد سيطرت المملكة الصليبية منذ قدومها إلى القوافل الشرق على الموانئ الفلسطينية ومدت حصونها على طول طرق للحصول على الضرائب التي تمثل موارد مالية ثابتة لهذه المملكة .

فكانت القوافل المحملة بالتوابل الآتية من جنوب شبه الجزيرة العربية تجتاز النقب[7] إلى البحر الأبيض المتوسط، وتتحصل منها الرسوم من خلال السيطرة على المنافذ البرية والبحرية بشكل كامل، فقد كان الصليبيون يُسيطرون في فترة ازدهار وتوسع المملكة الصليبية في بداية القرن الثاني عشر الميلادي على أغلب الطرق البرية الممتدة من خليج العقبة جنوبا إلى جبل الشيخ شمالاً، ومن لبنان إلى الفرات شرقاً وغرباً[8]، لذلك اتجهت أكثر الحملات الصليبية والغارات طوال فترة النفوذ الصليبي إلى مناطق الشام الشمالية الداخلية مثل دمشق وحلب وحماة وحمص.

وعندما رأى الملك بلدوين الأول (1058-1118م) وهو المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس، أنّه يواجه صعوبات اقتصادية كبيرة يجب حلها، اتخذ عدة إجراءات في محاولة منه إلى دفع المملكة الوليدة للأمام وتحسين مواردها الاقتصادية.

فقام بتوسيع حدود المملكة الصليبية من خلال غاراته على الحدود المصرية جنوباً وعلى المنطقة الشرقية لنهر الأردن، بغية السيطرة على الطريق التي تربط مصر مع بلاد الشام، إذ أنشأ نقاط مراقبة وحصوناً متقدمة في مناطق شرق الأردن، وجنوب البحر الميت، وحاول باستمرار ربط مملكته بالمدن المسيحية الموجودة في الشمال السوري لفتح طريق للحجاج ولزيادة عدد المهاجرين، فقاتل المسلمين على طول الساحل الشامي، وأنشأ إمارات مسيحية عديدة من أجل السيطرة على الطرق البرية وعلى الموانئ البحرية لكون الموانئ الصليبية، وهي يافا وحيفا، لم تكونا تفيان بالغرض لصغر ميناء يافا وعمق ميناء حيفا الذي يتعرض للرياح الشمالية القوية باستمرار[9] ، ما يؤدي إلى تدمير السفن الراسية فيه.

---

[1] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 189 ، 193، 206 207 ؛ وليم الصوري، ج2، ص 318، 360.

[2] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص32.

[3] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 341، 342.

[4] مؤاب مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 31.

[5] الجولان قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم أصبحت من أعمال حوران، الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 188.

[6] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص32.

[7] النقب موضع بينه وبين بيت المقدس مسيرة يوم للفارس من جهة البرية بينها وبين التيه، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص298.

[8] بردج، تاريخ الحروب، ص138؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص32.

[9] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 33.

وعلى صعيد حكومة بلدوين الداخلية التي كانت بحاجة إلى المال والرجال بشكل مستمر ودائم، فقد تحصلت على موارد ثابتة من خلال تشجيع التجارة من البلدان المجاورة مع القدوم للقدس واغتنام فرصة التبرعات القادمة من أوروبا للكنيسة، وحصلت على الرجال من خلال المهاجرين والحجاج الأوروبيين واكتساب ود المسيحيين المحليين وتهجيرهم إلى القدس[1]، والاستفادة من الممتلكات المؤجرة من أسواق ومحال تجارية وغيرها[2]. مع اللجوء إلى فرض ضرائب مؤقتة وقت الحرب لتلبية الاحتياج الآنية للمال المطلوب[3].

كما حققت مملكة بيت المقدس في ما بعد وارداتها من خلال الضرائب التي تُحصّل من مدن نابلس والسامرة ويافا وحيفا والخليل وعكا وصيدا وطبريا وباقي المدن[4]، بالإضافة إلى الضرائب المُحصَّلة من صناعات بعض المدن كصناعة الفخار والزجاج في صور وعكا[5]، وصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية، وصناعة الآثار والتذكارات للحجيج في أغلب المدن الصليبية، وعوائد الضرائب المفروضة على القوافل التجارية، وضرائب صناعة قصب السكر في صور وصيدا[6]، وقيسارية وعكا وصفد[7] وسهول عسقلان ونابلس ومنطقة الغور[8] وبيسان وأريحا والخليل[9]، فقد كان قصب السكر يحقق أرباحا كبيرة لدرجة أن الكثير من الأراضي قد انتقلت من زراعة الحبوب إلى زراعة قصب السكر الذي وجد سوق رائجة له في أوروبا التي لم يعرف سكانها غير العسل للتحلية قبل الحروب الصليبية.

وما إن أُنشئت الدويلات الصليبية حتى بدأ ملك القدس بلدوين الأول Bldwn I(1058- 1118 م) وبعض أمراء المدن الصليبية سك الدنانير الذهبية التي كانت تعرف باسم (البزنتات الشرقية) والتي كانت تقليداً للدنانير الفاطمية، وكانت هذه العملات، خاصةً عملات مملكة بيت المقدس ، يطلق عليها (الصوري) نسبة إلى مدينة صور التي تُسك بها، وانتشرت في أنحاء الشرق الأدنى بسرعة كبيرة، ولا يعرف بالتحديد مصدر الذهب المستخدم في سك العملة الصليبية، إذ إن عمليات السلب والنهب وتحصيل الفدية لم توفر سوى قدر صغير غير منتظم من الذهب وكان المصدر الرئيسي للذهب في ذلك الوقت هو السودان، ويحتمل أن يكون التجار المغاربة قد أحضروا بعضه للصليبيين[10]. وقد حاول الصليبيون ضرب العملة الإسلامية والتأثير عليها من خلال تقليدها وتزويرها لخفض قيمتها ورفع قيمة العملة الصليبية [11] .

وكان حكام الشرق الصليبيون يحتفظون بقوة بحق إصدار العملات الذهبية ولم يكن مسموحاً للمدن الإيطالية التجارية ولا للأنظمة الدينية العسكرية بالتعدي على هذا الحق، بينما كان باستطاعة كبار مستأجري الأرض صك العملات البرونزية للاستعمالات المحلية فقط [12] .

ومن أهم الزراعات التي حافظت على مورد دائم للخزينة الصليبية في معظم الإمارات الصليبية في المنطقة هو زراعة وصناعة قصب السكر، وكانت تُمنح أراضيه للقادمين الجدد إذ انتشرت أراضيه في غالب مناطق ومدن فلسطين[13]، خاصة بعد أن استخدم الصليبيون نظام الإقطاع الأوروبي، فكانوا يجبرون الفلاحين المحليين على فلاحة

---

[1] رنسيمان، تاريخ ،الحملات، ج 2، ص 34؛ باركر ، الحروب الصليبية، ص65، 66، لقد ضلت مشكلة نقص القوى البشرية والخوف من قطع خطوط الإمداد الخارجية من أوروبا إلى المدن الصليبية في الشرق مشكلة معظم قادة الحروب الصليبية، فقد عانى الملك فولك من نقص القوى البشرية عندما سيطر على جزيرة قبرص، ولم يستطع الملك ريتشارد استعادة القدس في الحملة الثالثة خوفاً من قطع خطوط الإمداد ، الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 210؛ ذيل وليم الصوري، ص 233.

[2] رحلة الربي بتاحيا، ص150، 151.

3 وليم الصوري، ج4، المرجع السابق، ص317- 319.

[4] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص317.

[5] بردج، تاريخ الحروب، ص138.

[6] بورشارد، وصف الأرض، ص42، 48، 49.

[7] صفد مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص412.

[8] الغور يقصد به غور الصافي وهو آخر الغور ، أوله بحيرة طبرية، ثم يمتد على بيسان حتى ينتهي إلى البحيرة الميّتة، والغور ما بين جبلين غائر في الأرض جدا، وبه عيون وأنهار ونخيل، الإصطخري،المسالك والممالك، ص 45.

[9] المغربي، قصب السكر، ص735- 738.

[10] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 419.

[11] براور، عالم الصليبيين، ص 168.

[12] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 420.

[13] بورشارد، وصف الأرض، ص168؛ المغربي، قصب السكر، ص 740- 749.

الأرض وزراعتها مقابل جزء محدد من المحصول، إلى جانب الضرائب الإضافية التي كانت تُقدَّم للسيد الإقطاعي ثلاث مرات في السنة من خلال عمليات تعذيب وقهر الفلاحين [1]، وقد أُجبر الفلاحون على العمل في أيام الجمع والأعياد الدينية مع التهديد بقطع الأرجل والأطراف والسجن لمن لا يعمل، بُغية الحفاظ على تماسك الاقتصاد الصليبي[2].

كما كان العنصر الاستخباري متمثلاً ببث العيون في كل مكان فيه مورد مالي لمملكة بيت المقدس، واعتمد عليه الصليبيون في تركيز الغارات والهجمات على القوافل التجارية ونهبها وإرسال الدعم والتمويل للمدن قبل قيام المسلمين بحصار ها[3]. وكانت هذه الغزوات والغارات تتوقف في بعض الأحيان بفعل الاتفاقيات التي كان يبرمها الصليبيون مع المسلمين عند شعورهم بالضعف لكثرة انقساماتهم الداخلية التي كانت تقلل من إمداداتهم الأوروبية[4].

وبسبب كثرة الغزوات والحملات العسكرية التي حرضت عليها مملكة بيت المقدس أو أشرفت عليها ، وكانت تمثل المورد الاقتصادي الطارئ لكافة المدن الصليبية في عموم بلاد الشام سنورد هنا بعضها، بينما سيرد تفصيلها في الجدول. وكانت أولى عمليات التمويل الصليبية في بلاد الشام عند حصار أنطاكية عام 489هـ / 1097م ، إذ غزى الصليبيون محيط المدينة الغنية بالفواكة والحبوب[5] مستخدمين أسلحتهم القديمة والصدئة [6]عدة مرات، فحصلوا منها على الفواكه والماشية والحبوب [7]، وبعد أن حاصروا مدينة أنطاكية بدؤوا بتفتيش القبور وحرق الجثث بحثاً عن الذهب والفضة [8]، وحدثت معركة الجسر أثناء حصار أنطاكية وغنم منها الصليبيون الجياد والجمال والبغال والحمير المحملة بالحبوب والنبيذ [9]، وعندما استولوا على المدينة حازوا منها الذهب والفضة والملابس الحريرية والجواهر والسجاد وخمسمائة حصان [10]، وغنم الصليبيون من معسكر كربوغا عام 490هـ / 1098م
الأقوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة[11]، ولكثرة هذه الأموال بدأ الصليبيون بترميم الكنائس ودور العبادة داخل

---

[1] جلال سلامة، المقاومة الشعبية في نابلس وريفها ضد الوجود الصليبي حتى عام 583هـ / 1187م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، 2013، ص 278 279، وسيشار له في ما بعد :هكذا جلال، المقاومة الشعبية.

[2] جلال، المقاومة الشعبية، ص.281.

[3] ابن الأثير ، الكامل، ج8، ص 574 ، 575؛ لقد كان حسن التخطيط والاعتماد على العيون يوفر دعما للصليبيين، وعندما ضعف هذا العنصر في ظل الانقسام ضعفت الدولة الصليبية. ولعقد مقارنة حول سوء التخطيط والتمويل المعلوماتي ينظر في تحضيرات معركة حطين في ويندوفر، ورود التاريخ ، م 39 ، ص 317؛ ذيل وليم الصوري، ص73 ، 74 ، 84، 85؛ تاريخ سمباط الأرمني، م 35، ص 293، 294.

[4] ذيل وليم الصوري، ص 18 ، 19 ، 29، 30؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص504، 505.

[5] Robert, Tancred, p57 بردج، تاريخ الحروب، ص 93 للاطلاع على جمال وغنى البساتين المحيطة بأنطاكية انظر رحلة يوانس فوقاس، ص 103 104 Madden, The Concise History .p29

[6] تو ديبود، تاريخ الرحلة، ص187.

[7] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 137؛ أعمال الفرنجة، ص 50 52 Guibert, The Deeds, 47؛ فوشيه، تاريخ الحملة، ص 50 ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص60، 64،63، 68؛ وليم الصوري، ج 1، ص 328؛ تاريخ الرهاوي، ص74.

[8] أعمال الفرنجة، ص 63؛ وليم الصوري، ج 1، ص325؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص50؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 354. أعمال الفرنجة، ص 63؛ وليم الصوري، ج 1، ص325؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص50؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 354.

[9] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 135 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص59 ، 71.

[10] The Gesta Tancredi, p91؛ Guibert, The Deeds, p58 فوشيه تاريخ الحملة، ص 58؛ ابن القلانسي، ص 220؛ وليم الصوري، ج 1، ص 359، 361؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص 56،55؛ تاريخ الرهاوي، ص77؛ ابن العديم زبدة الحلب، ص240؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 363.

[11] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 231؛ أعمال الفرنجة، ص94 95 110 ,The Gesta Tancredi؛ Guibert, The Deeds, p68 فوشيه، تاريخ الحملة، ص 63؛ الألكسياد، ص436؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص103، 104؛ وليم الصوري، ج 1، ص 416؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 420؛ تاريخ الرهاوي، ص 78 ؛ ابن العديم زبدة الحلب، ص 240 242؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 155 ، على الرغم من غنى منطقة أنطاكية ومحيطها إلا أن الصليبيين قد تعرضوا لمجاعات كبيرة أثناء حصار أنطاكية وبعد سقوطها بيدهم وحصار كربوغا لهم، كما كانت الأسعار مرتفعة لقلة التموين، فسعر رغيف الخبز شلنان والعجل بماركين وعلف الفرس ليوم واحد ثمانية شلنات، حتى هلك أكثر من ثمانية وستين ألف حصان من الجوع والبرد، كما قلت الأغطية وتعفن الطعام بسبب الرطوبة والبرد، فهرب العديد من الفرسان والجنود حتى تناقص عدد الجيش الصليبي إلى النصف، إذ يقدر عدد الصليبيين داخل أنطاكية أثناء حصار كربوغا لها بخمسة عشر ألف فارس ومائة وخمسين ألفاً من المشاة، توديبود، تاريخ الرحلة ص 139 ، 224، 225؛ أعمال الفرنجة، ص 80، 86؛ The Gesta Tancredi, p102؛ Guibert, The Deeds, p64؛ فوشيه، تاريخ الحملة، ص 55، 56؛ الألكسياد، ص426؛ متى الرهاوي، تاريخ متى، ص 81، 95؛ أوتو، المدينتان، م28، ص 331؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 91، 92، 103؛ وليم الصوري، ج 1، ص 292- 295، 381، 383، 392-390؛ يوحنا، وصف الأرضي، ص 75؛ بردج، تاريخ الحروب، ص 95؛ رنسيمان، تاريخ ،الحملات، ج 1، ص 343، 345، 370.

مدينـة أنطاكية [1]، وهذا الإجراء يعكس حالة الجوع والعوز التي مر بها الجيش الصليبي بعد مغادرته لأنطاكية باتجاه القدس، ويؤكد أن المؤتمر الذي عقده الصليبيون بعد الاستيلاء على أنطاكية لتحديد موعد التوجه للقدس لم تُبن مخرجاته على دراسة جيدة للوضع الاقتصادي الحقيقي للصليبيين.

ريموند صانجيل Raymond Toulouse(1045-1105م) أموالاً لبعض الأمراء لضمان عدم تكرار المجاعات في الجيش الصليبي[2]، وأرسل بوهيمنـد الأول Bohemond I (1050-1111 م) إمدادات من أنطاكية للصليبيين المحاصرين لمعرة النعمان عام 491هـ/ 1099م، إلا أن هذه الإمدادات لم تكن كافية لهم[3]، فعندما دخلوا المعرة وجدوا بها الكثير من الزيت والقليل من الطعام[4]، الأمر الذي جعل الصليبيين يطبخون لحما من جثث القتلى المسلمين ويقتاتون عليه لمدة شهر وأربعة أيام[5]، مما يشير إلى حالة التخبط وسوء التخطيط في إدارة وتمويل الحملات الصليبية في بداية وصولها إلى الشرق، فالانتقال من حالة الكفاية والوفرة عند انطلاق القوات من أنطاكية إلى النقص والعوز عند معرة النعمان يدل على ذلك.

وقدّم أمراء المسلمين من شيزر وحماة وحمص الدعم للصليبيين بتزويدهم بالمؤن والخيول عام 491هـ / 1099م[6]، وأنفذ أمير شيزر مع الصليبيين مرشدين ليدلوهم على وادٍ في سهل شيزر مليء بالغنائم فحصل الصليبيون منه على خمسة ألاف رأس من الغنم وبعض القمح والذهب[7]، ولعل سبب ذلك راجع إلى قناعة حكام تلك المناطق بحالة النقص وقلة التمويل التي كانت عليها الجيوش الصليبية، والتي قد تدفعهم لدخول المدن الإسلامية والاستيلاء عليها قبل الوصول لبيت المقدس.

وعند سقوط القدس بيد الصليبيين عام 491هـ / 1099م حازوا منها على الكثير من الغنائم والأموال، فأخذوا اثنين وأربعين قنديلاً من الفضة كانت حول الصخرة المشرفة بقيمة ثلاثة ألاف وستمائة درهم للقنديل الواحد، كما استولوا علـى تنـور من فضة وزنه أربعون رطلاً ، وثلاثة وعشرين قنديلاً من الذهب الخالص، وأخذ الصليبيون يبيعون أجزاء من الصخرة بوزنها ذهبا [8] ، وأحرقوا جثث القتلى للبحث عن الذهب داخل بطون الناس، وقسموا المدينة وبيوتها بينهم وأصبحت لديهم وفرة في كل شيء حتى انخفضت الأسعار بشكل كبير.[9]

وكان عدد الصليبيين بعد سقوط القدس قليلاً، إذ لم يزيدوا على ثلاثمائة فارس وألفين من المشاة، لذلك حاول الصليبيون التوسع وضم الكثير من المدن والحصون للمملكة الوليدة، من أجل تدفق الموارد المالية لها، بل وامتهن

---

[1] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص68.

[2] توديبود، تاريخ الرحلة، ص286؛ أعمال الفرنجة، ص98؛ فوشيه، تاريخ الحملة، ص69؛ وليم الصوري، ج2، ص 21، 22.

[3] وليم الصوري، ج 2، ص 35، لقد تنافس الأمراء الصليبيون على نيل أنطاكية الواقعة على نهر العاص والغنية بسبب وجود مصانع تنتج الملابس الحريرية والسجاد والزجاج والفخار والصابون. وتستقبل المدينة القوافل الآتية من حلب باتجاه البحر لكي تُشحن في البحر إلى أوروبا، بالإضافة إلى أن سكانها مسيحيون من مختلف الطوائف والملل الشرقية، ومن السهل السيطرة عليهم بسبب المنازعات المستمرة بينهم، رنسيمان تاريخ الحملات، ج 2، ص 35.

[4] أعمال الفرنجة، ص 104، 106 ؛ The Gesta Tancredi, p121,122؛ فوشيه، تاريخ الحملة، ص68؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م 51 ، ص ،120 121؛ وليم الصوري، ج 2، ص 39 ، Robert 40 .Tancred, p74

[5] توديبود، تاريخ الرحلة، ص262 263؛ Guibert, The Deeds, p72؛ ابن القلانسي، ص222؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 397.

[6] وليم الصوري، ج2، ص43، 44.

[7] توديبود، تاريخ الرحلة، ص289؛ أعمال الفرنجة، ص 107 ، 108 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، Robert, Tancred, p77, 78:122 ؛The Tancredi,

[8] تو ديبود، تاريخ الرحلة، ص 318 ؛ أعمال الفرنجة، ص The Gesta Tancredi, p 1433 145119؛ Guibert, The Deeds, p80 فوشيه تاريخ الحملة، ص 75 76 ؛ الألكسياد، ص426؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 143 - 146؛ وليم الصوري، ج 2، ص 126، 128، 135؛ تاريخ الرهاوي، ص79؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص156، 324، لقد اتخذ حاكم القدس افتخار الدولة قبيل بدء الحصار الصليبي عدة إجراءات لقطع الإمدادات عن الصليبيين وزيادة التضييق عليهم، فقد هدم الآبار الموجودة خارج المدينة، ونقل قطعان المواشي إلى أماكن آمنة وأخرج السكان المسيحيين من المدينة. وقد عانى الصليبيون أثناء حصار القدس، فكانوا ينقلون الماء من بركة سلوم الموضوعة تحت قصف المنجنيقات الفاطمية، الأمر الذي جعل الصليبيين يجلبون الماء من الينابيع من مسافة 6 أميال تحت خطر التعرض للكمائن التي وضعها افتخار الدولة حول القدس لقطع الإمدادات ،توديبود، تاريخ الرحلة، ص 315 Guibert, The Deeds, p78؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 428، 436، فارتفعت أسعار الماء النظيف والوسخ، مما أدى إلـى موت الحيوانات من الظمأ وفسد الهواء من رائحة جثث الحيوانات النافقة، وليم الصوري، ج2، ص98- 100، 101.

[9] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص84، 85.

بعض الصليبيين الدعارة بنسائهم لتحقيق الكسب المالي السريع، خاصة بعد قيام الفلاحين في المدن والأرياف الخاضعة للصليبيين برفض زراعتها حتى لا يحصل الصليبيون على أي كسب منها في تلك الفترة[1].

وقبيل معركة الرملة عام 492هـ/ 1100م عثر الصليبيون على قطعان كثيرة وضخمة من الماشية والخيول والجمال في منطقة إبلين فاستولوا عليها دون قتال(3)، وهذا بسبب عدم إدراك أهل البادية للوجود الصليبي في المنطقة وعدم وضوح الأهداف من هذا الوجود، فقد كانت قطعان الماشية تنتشر للرعي دون وجود حراسة كبيرة عليها.

وكانت حلب وريفها مستهدفة من قبل الصليبيين طوال فترة نفوذهم في بلاد الشام، خاصةً في ظل ضعف وفرقة العالم الإسلامي. وقد ورد تفصيل جميع الغارات التي تعرضت لها حلب في الجدول المدرج، ونتجت بعض الغارات الصليبية عن تحالفات متنوعة منها ما كان مع بعض الحكام المسلمين، ففي عام 518هـ/ 1125م جمع تحالف بين دبيس والملك بلدوين الثاني Blawn II (1060-1131م) و جوسلين [2]حيث تقاسموا حلب وأغاروا عليها ونهبوها، حتى إنهم نبشوا قبور الموتى بها للبحث عن الذهب. [3]

وكانت دمشق مطمعاً كبيراً للصليبيين لغنى أراضيها واتساع بساتينها وغاباتها وكثرة منتجاتها [4] ، حتى إنهم اتفقوا على بيع ما بداخلها قبل سقوطها في الحملة الصليبية الثانية عام 543هـ/ 1149م [5] ، فقد طوقوها من جهة البساتين والكروم لضمان استمرار تموين البساتين لهم، وبعد تغير الخطة الذي أسفر عنه تغير جهة الحصار خسر غالبية الصليبيين المعركة [6]، بينما كسب فرسان الداوية الأموال الدمشقية التي دفعت على سبيل الرشاوى لإقناع الصليبيين بتغيير موقع الجيش [7] .

وأغار الصليبيون على شيزر عام 551هـ / 1157م ، واحتلوا حصنها وسبوا ونهبوا كل ما فيه، وأخذوا خمسة الآف نسمة من النساء والأولاد أسرى وكمية كبيرة من الذهب والفضة، ثم حاصروا حصن حارم واستولوا عليه[8].

2- دور موانئ الساحل الشامي في تمويل الحملات الصليبية :

تعتبر السواحل الشامية مصدر تمويل رئيسي لمملكة بيت المقدس التي بحثت منذ بداية وجودها في المنطقة عن موانئ تستقبل الإمدادات الصليبية المرسلة من الغرب إلى الشرق، إذ ظلت هذه المدن الساحلية مهددة من قبل الصليبيين حتى خضعت لهم، وقد قدمت هذه الموانئ دعماً كبيراً للصليبيين سواء في فترات خضوعها للصليبيين أو أثناء خضوعها للمسلمين [9]، والخارطة رقم (4) تبين هذه الموانئ.

لقد أدرك الصليبيون أهمية هذه الموانئ لذلك استولوا عليها على الرغم من وجود عهود واتفاقيات مبرمة مع حكامها، فالاستيلاء عليها يعني توفير الدعم العسكري من المؤن والمعدات بصورة مستمرة من الغرب، كما يعني تدفقاً مستمراً للحجاج الذين يقاتلون مع الصليبيين قبل عودتهم إلى الغرب أو يمكثون في الشرق، بالإضافة إلى استخدام هذه الموانئ كقواعد عسكرية للسيطرة على البحر وما يحويه من سفن تجارية محملة بالبضائع التي كانت تدفع ضرائب للصليبيين، وهي من مصادر التمويل الثابتة للمملكة، أو الاستيلاء من خلال هذه الموانئ على السفن غير الصليبية ونهبها كمورد مؤقت وطارئ للمملكة الصليبية.

وكان أول هذه الموانئ في منطقة الشرق الإسلامي ميناء اللاذقية البيزنطي الذي استولى عليه تنكريد Tancredعام(489هـ / 1097م)[10]، وميناء طرطوس الذي استولى عليه ريموند صانجيل(1045-1105م)[1]

---

[1] وليم الصوري، ج 2، ص 181179؛ الاعتبار ، ص 136؛ براور، عالم الصليبيين، ص 94. (3) وليم الصوري، ج2، ص164، 165.

[2] جوسلين كورتناي : نبيل فرنسي من مقاطعة غاستيناس في جنوب فرنسا، وهو ابن عمة بلدوين II، الرويضي، إمارة الرها، ص 290.

[3] ابن العديم زبدة الحلب، ص292.

[4] بنيامين التطيلي، ص 115؛ وليم الصوري، ج 3، ص 437، 438؛ رحلة الربي بتاحيا، ص الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص 57.

[5] الاعتبار، ص114، 115.

[6] وليم الصوري، ج 3، ص 311 316؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 326- 328.

[7] يوحنا، وصف الأرضي، ص52.

[8] تاريخ الرهاوي، ص184، 185.

[9] سامية، الصليبون، ص 15، 16 ؛ عوض، الحروب الصليبية، ص86.

[10] أعمال الفرنجة، ص 110 ؛ الألكسياد، ص 439؛ وليم الصوري، ج2، ص237.

Raymond Toulouse الذي نهب مدينة الميناء، وحصل منها على كميات ضخمة من المؤن والغنائم [2]، لذلك دخل حاكم ميناء مدينة جبلة في الصلح مع الصليبيين وقبل سيادتهم مقابل مبلغ من المال[3] .

وسارع حاكما طرابلس وجبيل لتأكيد صداقتهما للجيش الصليبي المتجه إلى القدس وزوداه بالأموال والخيول والمؤن وأدلاء الطرق [4] ، وقصب السكر[5]، كما زودت طرابلس ريموند صانجيل Raymond Toulouse(1045-1105م) وروبرت النورمندي Robert normand بالمؤن أثناء حصار هما لقلعة الهون[6] ومحيطها[7]، وبرهن مواطنو بيروت والمارونيون في جبل لبنان أنهم متحمسون لإرضاء الصليبيين من خلال إرسال الأدلاء وبعض المؤن للجيش الصليبي. [8]

وقامت العديد من المدن الساحلية بعد ذلك بتوفير التمويل للصليبيين بهدف صرفهم عن مدنهم من جهة، واعتقاداً منهم أن القادمين الجدد يُريدون الوصول إلى القدس التي تتبع الدولة الفاطمية في مصر، وحتى لا يحدث لمدنهم ما حدث في أنطاكية ومعـرة النعمان. إذ مولتهم بعد ذلك مدن صيدا وصور وحيفا [9] و قيسارية[10] وعكا [11]بالمؤن والهدايا والأسواق [12]، لكن الصليبيين استولوا على ميناء يافا قبل استيلائهم على بيت المقدس[13]، لحاجتهم الضرورية لميناء يمكنه استقبال إمدادات الغرب.

ولم يمض وقت طويل على سقوط القدس عام 491هـ / 1099م حتى تسارعت مدن عسقلان وعكا و أرسوف وقيسارية بعقد اتفاقيات مع الصليبيين، مع إرسال هدايا من الحبوب والفاكهة والزيتون والخيول العربية، وقدمت أرسوف وعكا وقيسارية لغودفري - God firoiإتاوة شهرية قدرها خمسة آلاف بيزنط مقابل السماح لهم بأن يفلحوا أرضهم[14]، بينما دفعت عسقلان عشرين ألف بيزنط[15].

و لأهمية الموانئ لدى الصليبيين تراجعت مملكة بيت المقدس عن الاتفاقيات التي أُبرمت مع المدن الساحلية، خاصة بعد تحطم السفن الصليبية في ميناء يافا الضيق عـام 492هـ /1100م(4)، فقد حاصر جيش مملكة بيت المقدس حيفـا عـام 492هـ/ 1100م[16] واستولى عليها ونهبها[17]، وحاصر الجيش الصليبي أرسوف ودخلها واستولى على المؤن والمعدات التي بها.[18]

---

[1] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 291؛ أعمال الفرنجة، ص 110 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص132؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 8، ص 474 رنسيمان تاريخ ،الحملات، ج2، ص411؛ عاشور، تاريخ العلاقات، ص279.

[2] وليم الصوري، ج2، ص48، 216.

[3] توديبود، تاريخ الرحلة، ص292؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 123؛ ويندوفر، ورود التار م 39، ص73 ؛ رنسيمان، تاريخ ، الحملات، ج2، ص412 سامية، الصليبيون، ص19.

[4] توديبود، تاريخ الرحلة، ص Guibert, The Deeds 73,76293 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 125؛ وليم الصوري، ج 2، ص 62، 63 ويندوفر ، ورود ،التاريخ، م39، ص74؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص417؛ سامية، الصليبيون، ص17، 18، 21؛ بردج، تاريخ الحروب، ص 110؛ Robert, Tancred, p80 ، يحدد المؤلف المجهول النقود التي قدمها ابن عمار والي طرابلس بعشرة ألاف قطعة ذهبية وخمس عشرة هدية غالية وجياد وحمير وشتى أنواع المحاصيل، أعمال الفرنجة، ص 113.

[5] ألبرت، تاريخ الحملة، م51 ، ص 125؛ ابن شداد، الأعلاق، ص79.

[6] قلعة الهون أو قلعة تل هونين بلد في جبال عاملة مطلّ على نواحي مصر ، الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 420.

[7] Robert, Tancred, p79

[8] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص126؛ وليم الصوري ، ج 2، ص 62؛ بردج، تاريخ الحروب، ص110؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 418.

[9] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص126؛ وليم الصوري ، ج 2، ص 62؛ بردج، تاريخ الحروب، ص110؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 418.

[10] The Gesta Tancredi, p128

[11] وليم الصوري، ج 2، ص 65.

[12] Madden, The Concise History, 652 The Gesta Tancredi, p128

p30. ؛ بردج، تاريخ الحروب، ص110.

[13] ابن الأثير ، الكامل، ج 10، ص99؛ الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص28 بردج تاريخ الحروب ص 110.

[14] Guibert, The Deeds, p72 ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 159، 160؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص464 ، عوض الحروب الصليبية، ص93، 94.

[15] أوتو، المدينتان، م28 ، ص 337 ألبرت، تاريخ الرحلة ص 173؛ ابن القلانسي، ص223؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 428.

[16] وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأرضي المقدسة 1102-1103م، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن، 1418هـ / 1997م، ص 21، 22، وسيشار له في ما بعد :هكذا: سايولف، وصف رحلة.

[17] ابن القلانسي، ص 225.

[18] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص 197، 198؛ وليم الصوري، ج 2، ص 217- 219؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م39 ، ص 109 110 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص458.

وعندما خرج بوهيمند الأول Bohemond 1(1050-1111) و بلدوين الأول Bldwn I(1058-1118م) للحج عام 1100م مرّا على اللاذقية وتزودا من سوقها من خلال إعادة تحميل الدواب بالمؤن، ثم مرا على طرابلس وقيسارية التي زودتهم بالمؤن والمعدات.[1]

وبقدوم بلدوين الأول Bldwn (1058 - 1118 1م) لاستلام عرش أخيه غودفري Godefiroi (1060-1100م) عام 492هـ / 1100م ، سارع بنو عمار في طرابلس لتقديم المؤن والمساعدات لجنود بلدوين في رحلتهم إلى القدس[2]، واشتملت على معلومات عن كمائن الطريق[3]، كشفت كمين جنود بيروت الذين أوقع بهم بلدوين واستولى على المؤن والغنائم التي معهم[4]، الأمر الذي دفع والي صيدا وصور لإرسال الميرة والمؤن أيضا[5]، وفُتح سوق من قبل أهل حيفا الجنود بلدوين[6]، كما استولى تنكريد Tancred على حيفا الصليبية ونهبها عام 492هـ / 1100م[7]. فقد كان سقوط الموانئ الإسلامية في بداية تأسيس مملكة بيت المقدس نتيجة حتمية للصراع الدائر بين الأمراء الصليبيين الذين يبحثون عن دعم أوروبي قادم من البحر.

واستولى بلدوين الأولBld I (1058-1118م) على قيسارية عام 493هـ/ 1101م وسلبها ونهب ضواحيها وأخذ جُل أهلها كسبايا[8]، وذلك لغناها بالبساتين والحدائق والمياه الجارية [9]، ولمينائها المتسع المبني بمهارة.[10]

وقدمت الصليبيون في أرسوف عام 493هـ / 1101م تسعين جنديا للقتال مع بلدوين الأول في معركة ضد المصريين قرب يافا[11]، وأرسلوا له سفينتين[12]. من أجل سلب ضواحي عكا عام 1103م[13]، كما استولى بلدوين عام 496هـ / 1104م على عكا بعد حصارها من البر والبحر وأخذ منها غنائم كثيرة[14]، وأصبحت بعد ذلك وجهة الحجاج والحملات الصليبية لاتساع مينائها وحصانة أسوارها[15] وخصوبة تربتها[16] التي تدر تمويلاً ثابتاً للمملكة الصليبية.

و كنتيجة لسقوط مدينة جبيل ونهبها من قبل الصليبيين الذين غدروا بأهلها[17]، اتفق ابن عمار[18] والي طرابلس مع ريموند صانجيل Raymond Toulouse(1045-1105م) على اقتسام زروع طرابلس عام 497هـ / 1104م[19] ، بينما أخذ بلدوين الأول Blawn 1(1058-1118م) إتاوة من صور عام 500هـ / 1107م قيمتها سبعة الاف دينار في السنة[20].

---

[1] فوشيه، تاريخ الرحلة، ص80-82.

[2] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 103؛ ألبرت، تاريخ ،الحملة، م 51، ص 185؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 483؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 88.

[3] وليم الصوري، ج2، ص202.

[4] وليم الصوري، ج2، ص205؛ يورد فوشيه رواية بأنه لم يحدث اشتباك مع أهل بيروت، وأرسلت المؤن لبلدوين يومياً من خلال القوارب، فوشيه، تاريخ الحملة، ص106.

[5] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 106؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص 187؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص484.

[6] فوشيه، تاريخ الحملة، ص107؛ وليم الصوري، ج2، ص206.

[7] ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 179 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص458.

[8] فوشيه تاريخ الحملة، ص 115 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 197 ، 198؛ ابن القلان ص225؛ وليم الصوري، ج2، ص 219- 222؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص110، 111؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص458.

[9] الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص32.

[10] رحلة يوانس فوقاس، ص 120.

[11] وليم الصوري، ج2، ص 236.

[12] سايولف، وصف رحلة، ص48.

[13] متى الرهاوي، تاريخ متى، ص133؛ وليم الصوري، ج 2، ص243.

[14] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص 233 234؛ الفيتري تاريخ بيت المقدس، ص33؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 118، 119.

[15] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 131؛ رحلة الحاج الروسي دانيال، ص104، 127، 128؛ فيتلوس، وصف الأرض، ص 75 ؛ عوض الحروب الصليبية، ص98، 99.

[16] بورشارد، وصف الأرض، ص39، 40.

[17] ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص232 233؛ ابن القلانسي، ص 231 ، 262؛ ابن شداد، الأعلاق، ص 78 ؛ سامية، الصليبيون، ص 36.

[18] ابن عمار ملك طرابلس كما يدعوه فوشيه: عمار بن محمد بن عمار القاضي فخر الملك، وقد تولى طرابلس عقب وفاة أخيه علي عام 494هـ / 1102م، فوشيه، تاريخ الحملة، ص 165؛ السلامين، دور تنكريد، ص 121.

[19] ابن القلانسي، ص238؛ رنسيمان تاريخ الحملات، ج 2، ص 90.

[20] ابن القلانسي، ص 255؛ ابن الأثير ، الكامل، ج 8، ص 516، 584؛ سبط ابن الجوزي، ج 20، ص 23.

وحصل بيرتراند بن ريموند على المؤونة من طرطوس عام 501هـ/ 1108م[1]، وساعدته هذه المؤونة على الاستيلاء على طرابلس عام 502هـ/ 1109م من خلال حصارها براً وبحراً، وأخذ من طرابلس أموالاً وملابس ومؤنا كبيرة[2]، واستفاد من مينائها وكروم العنب ومصانع الحرير الموجودة بها[3]، وسقطت بعدها صيدا عام503هـ/ 1110م فنال منها الصليبيون غنائم كثيرة[4] ، ثم بيروت التي نهبها الصليبيون منذ دخولها[5] وسيطروا على الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها[6].

ونالت صور من الصليبيين عهد أمان عام 504هـ / 1111م، الأمر الذي دفع تجارها إلى استئجار فرسان صليبيين بألف قطعة ذهبية لنقل أموالهم إلى دمشق خوفا من أن تقع بيد الصليبيين إن استولوا على صور ، فما كان من بلدوين الأول Blawn 1 (1058-1118م) عند وصول الخبر له إلّا أن استولى على القافلة بما تحتويه من الذهب والفضة[7]، وكانت أموالها من تجارة بيع الفخار والزجاج الصوري[8].

وتقاتل الصليبيون مع جنود بلك الأرتقي[9] عند يافا عام 516هـ/ 1123م وانتصروا عليه وأخذوا منه غنائم كثيرة [10]، ثم استولوا على صور عام 517هـ/ 1124م بعهد أمان إلى أهلها، فحاز الصليبيون الأموال والمؤن وميناء متسعاً ومحصنا[11] و مساحات كبيرة من كروم العنب والحدائق وحقول الحنطة[12].

و استولى الصليبيون على بانياس بعد الاتفاق مع أهلها من الباطنية[13] عام 523هـ/ 1129م، وحازوا منها الميناء و المؤونة و الميرة [14] التي استخدمها الصليبيون في حصار دمشق أكثر من مرة[15]، وشاركت عسقلان في صراع الملك فولك (1092 - 1143م) مع حاكم يافا عام 533هـ / 1139م من خلال تقديم الدعم والمؤن للملك الصليبي[16].

وعندما قدمت الحملة الصليبية الثانية كانت موانئ صور وعكا الصليبية أول من استقبلها وزودها بالأسواق والمؤن اللازمة[17] التي مكنتها من الاستيلاء على بانياس عام 543هـ/ 1149م عوضاً عن دمشق[18].

وخضعت عسقلان للصليبيين عام 548هـ / 1154م وحصلوا منها على غنائم كثيرة [19]من مخازن الأسلحة والثروات[20] التي مكنتهم من تكرار الغارات على باقي سواحل ومدن الشام ومصر[21].

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص 97.

[2] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 145؛ متى الرهاوي، تاريخ متى، ص 165 - 167؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص 282 284 ابن القلانسي، ص262؛ وليم الصوري، ج2، ص276 279 ويندوفر، ورود التاريخ، م 39 ، ص 120؛ ابن الأثير ، الكامل، ج 8، ص578، 579؛ سبط ابن الجوزي، ج 20، ص 28؛ ابن شداد، الأعلاق، ص 81؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 171؛ ابن تغري بردي، ج 5، ص 180؛ رنسيمان تاريخ الحملات، ج2، ص99.

[3] بورشارد، وصف الأرض، ص 51، 52.

[4] ابن القلانسي، ص269، 274؛ وليم الصوري، ج 2، ص 293؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص582.

[5] فوشيه، تاريخ الحملة، ص145 146؛ متى الرهاوي، تاريخ متى، ص168؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص284، 285؛ وليم الصوري ، ج 2، ص287 - 2899؛ سبط ابن الجوزي، ج 20، ص 37.

[6] رحلة يوانس فوقاس، ص105؛ فيتلوس، وصف الأرض، ص 77 ؛ يوحنا، وصف الأرضي، ص 103؛ الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص34.

[7] ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص299، 300.

[8] بنيامين التطيلي، ص 91 الفيتري تاريخ بيت المقدس، ص 138 ، 139؛ ابن شداد، الأعلاق، ص 90.

[9] نور الدولة بلك بن بهرام الأرتقي وهو ابن شقيق اللغازي الأرتقي ، وقد هاجم جوسلين كورتناي في كمين واسره ومعه ابن عمه جاليران يوم 13 أيلول 1122م من البيرة قرب سروج، فوشيه، تاريخ الحملة، ص 245.

[10] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص134.

[11] فوشيه، تاريخ الحملة، ص217 218؛ وليم الصوري، ج 3 ، ص 40، 41؛ ابن جبير، ص 283؛ رحلة يوانس فوقاس، ص106؛ فيتلوس، وصف الأرض، ص 76 ؛ أبن الأثير، الكامل، ج 8، ص708؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 201.

[12] فوشيه تاريخ الحملة، ص 217، 218؛ الفيتري، تاريخ بيت المقدس،ص47.

[13] الباطنية أو الحشاشون إحدى فرق الشيعة و ينتمون إلى الإسماعيلية النزارية، وأقاموا في بداية أمرهم في بلاد فارس ثم انتقل قسم منهم إلى بلاد الشام، ويُسمّون في بلاد العجم تارة بالباطنية وتارة بالملاحدة، وملخص معتقدهم التناسخ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية، ويقولون إن من مات على طاعة أئمتهم فهو في الجنة، ومن مات على عصيان أئمتهم فهو في النار والجحيم،
بورشارد، وصف الأرض، ص 57.

[14] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص17. (5) ابن القلانسي، ص275.

[15] ابن القلانسي، ص275.

[16] وليم الصوري، ج3، ص120، 121.

[17] أوتو، المدينتان، م28، ص 359.

[18] ابن القلانسي، ص 427؛ سبط ابن الجوزي، ج 20، ص 383؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص20؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص224.

[19] ابن القلانسي، ص 497؛ وليم الصوري، ج 3، ص 249، 250، 255، 256، 270؛ ابن الأثير، الكامل ، ج 9، ص 209؛ سبط ابن الجوزي، ج 20، ص432.

[20] تاريخ الرهاوي، ص182 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 27؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص 391.

[21] ابن القلانسي، ص517، ابن كثير، البداية، ج12، ص 231.

وقد كان الصليبيون يخسرون في بعض الأحيان بعض الموانئ الخاضعة لسيطرتهم بفعل اقتتالهم مع القوى الإسلامية، إلا أن موانئ طربلس وصور وعكا وعسقلان كانت الموانئ التي تمسك بها الصليبيون طوال فترة وجودهم في الشرق بقوة، إذ حصنوها بالأبراج وأحاطوها بالقلاع والحصون وذلك لعدة أسباب منها: اتساع موانئها المحمية من الأعاصير، وحصانة أسوارها، وأهميتها التجارية والزراعية والصناعية، واعتمادها كقواعد عسكرية لانطلاق القوات باتجاة القوى الإسلامية المحيطة، فقد تركزت الهجمات من طرابلس على حمص وحماة ومحيطهما، بينما استخدمت صور وعكا للإغارة على دمشق وريفها، وكانت عسقلان قاعدة عسكرية صليبية مهمتها الهجوم على المدن والقرى المصرية والسيطرة على الطرق التجارية البرية الخارجة منها.

فحصول الصليبيون على غنائم من معسكر نور الدين زنكي عام 559هـ / 1164 المقام بالقرب من طرابلس كان من خلال القوات الصليبية الموجودة في طرابلس[1]، إذ أخذوا بتكديس وتجميع هذه الغنائم في قاعدتهم العسكرية المتقدمة في عسقلان من أجل حملة الملك عموري Amaury (1136-1174م) على مصر والمنوي القيام بها عام 564هـ/1169م.[2]

وعندما وصل خبر موت نور الدين زنكي عام 569هـ/ 1174م لأسماع الصليبيين اندفعوا لحصار بانياس التي صالحتهم على مال يُدفَع للصليبيين لقاء رجوعهم عنها[3]، مع توفر إمكانية التحالف مستقبلاً ضد صلاح الدين الأيوبي[4].

وتظهر أهمية عكا عند الصليبيين بحالتها الاقتصادية المميزة التي وجدها عليها المسلمون عندما دخلوها عام 582هـ / 1187م، فقد كانت غنية بالذهب والجواهر والسلاح والملابس لأنها مقصد التجار الصليبيين من كل البلاد[5]، وبسبب هذه القوة الاقتصادية التي كانت عليها عكا أصر الصليبيون على أن تكون من أولى المدن الصليبية التي يجب عودتها للسيطرة الصليبية، فاستمر حصارها ما يقارب ثلاث سنوات وأسفر عن سقوطها عام 587هـ / 1192م بيد الصليبيين مرة أخرى.

وكانت جبيل تُصدر السكر الذي صنع بداخلها إلى العالم مقابل الذهب والفضة اللذين حقق الرخاء الاقتصادي للمدينة الصليبية [6]، بينما ضعف اقتصاد صيدا وبيروت عام 584هـ / 1189م لإرسالها المؤن للصليبيين الذين يحاصرون عكا[7]، وتبعتها صور التي جهزت أسطولاً من عشرة آلاف فارس وخمسين مركبا[8]، مع عدد من السفن

المحملة بالطعام والأسلحة لدعم الصليبيين عند عكا[9]، فقد كانوا لا يجدون سوى الخروب لأكله[10] ، الأمر الذي دفعهم للخروج في حملة والاستيلاء على بعض المؤن من محيط حيفا عام 585هـ/ 1190م.[11]

وعندما سقطت عكا بيد الصليبيين عام 587هـ/ 1192م أخذوا منها كميات كبيرة من المؤن والأموال والذهب والسبي[1]، ما أدخل الكثير من الأموال على الملك الإنجليزي ريتشارد1 Richard (1157-1199م) ومنها فدية القائد المشطوب البالغة خمسين ألف دينار[2].

---

[1] سبط ابن الجوزي، ج 21، ص37.
[2] وليم الصوري، ج4، ص40، 41.
[3] ابن العديم، زبدة الحلب، ص361؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص7.
[4] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص455.
[5] ابن جبير، ص276، 271 ، 283؛ رحلة يوانس فوقاس، ص 107؛ الفتح القسي، ص269، 270؛ ابن الأثير ، الكامل، ج 10، ص 28؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص425.
[6] سامية، الصليبيون، ص 37.
[7] ابن الأثير ، الكامل، ج 10، ص 86.
[8] أمبرويز، صليبية ريتشارد، م32 ، ص 222، 223.
[9] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 63.
[10] أمبرويز، صليبية ريتشارد م32 ، ص 282 ، لقد عانى الصليبيون المُحاصرون لعكا من نقص المؤن بشكل كبير حتى ترك الكثير منهم دينه واعتنق الإسلام من أجل الأكل في معسكر المسلمين، أمبرويز، صليبية ريتشارد ، م32 ، ص 267 268 ، 280، 281؛ الحرب الصليبية الثالثة، ج 1، ص 164 - 178؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م 39 ، ص 356 357 ، 367؛ ذيل وليم الصوري، ص 160، 186؛ الروضتين، ج4، ص173؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 63.
[11] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج3، ص65.

وكانت أولى إجراءات الملك ريتشارد بعد الاستيلاء على عكا البحث عن موانئ تؤمن قرب الأسطول الإنجليزي المحمل بالمؤن من جيش الحملة الثالثة، وذلك من خلال إعادة إصلاح ميناء يافا [3]، وإعادة الاستيلاء على مدينة وميناء عسقلان التي استولى منها الصليبيون على الكثير من المؤن والأموال [4]، كما سيطر الجيش الصليبي في الحملة الثالثة على موانئ حيفا وقيسارية وأرسوف وغزة [5]، بغية تمكين القوى الصليبية القادمة من الغرب بالاتصال مع المدن الصليبية وتأمين خطوط الإمداد لها.

واعتمد تمويل الصليبيين في طرابلس وعكا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي على غاراتهم على موانئ اللاذقية وجبلة[6] ، وساعدهم الوافدون الجدد في الحملة الخامسة على غزو محيط بانياس ونالوا من هذه المدن الكثير من الغنائم والمؤن[7].

واستقبلت عكا الصليبية الحملة الهنغارية عام 613هـ / 1217م ووفرت لها الأسواق والمؤن على الرغم من قيام جيش الحملة بنهب الأرياف والحقول المحيطة بالمدينة[8] وبعد أن استراحوا ثلاثة أيام في عكا توجهوا إلى صيدا التي نُهبت ماشيتها والحقول المحيطة بها من قبل الصليبيين[9].

وبمجرد وصول الحملة الصليبية الخامسة إلى عكا عام 614هـ/ 1218م، أُعدت الأسواق والمؤن وجهزت السفن اللازمة للقيام بعملية النقل للجنود ومعدات الحصار[10] التي لم تكف الجنود في دمياط لولا المؤن التي قدمتها بيروت وجبلة.[11]

وعندما حضر الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني Friedrich II(1194-1250م) عام 626هـ / 1229م في الحملة الصليبية السادسة موّل فرسانه من بيروت وصور وصيدا، ثم نزل في عكا التي وفّرت له المؤن و الميرة[12] ، وأرسلت عكا له ايضا القمح والشعير والخمر ومختلف الإمدادات بواسطة سفن الصليبيين الذين يبنون قلعة يافا[13]، كما نال الصقليون الذين تأخروا بالالتحاق بالحملة السابعة عام 646هـ / 1249م غنائم من صيدا بعد سقوطها[14].

---

[1] الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 39 ابن الأثير ، الكامل، ج 10، ص96، 97.
[2] الفتح القسي، ص 306؛ الروضتين، ج4، ص298.
[3] الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 101 رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص96.
[4] ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص Madden, The Concise History, p 105، عندما كان الجيش الصليبي يبتعد عن الأسطول الإنجليزي المحمل بالمؤن وكان يتعرض إلى نقص وضعف في التمويل الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 135 ، 136؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج3، ص93.
[5] ويندوفر، ورود التاريخ ، م 39 ، ص 375.
[6] عمران الحملة الخامسة، ص98، 99.
[7] ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 303؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 3، ص 255
[8] بادربون، الاستيلاء ، م 33 ، ص Madden, The Concise History, p1383 ،
[9] عمران الحملة الخامسة، ص 170.
[10] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص752.
[11] بادربون، الاستيلاء، م33، ص86.
[12] فيليب، حروب فريدريك، م34 ، ص 42.
[13] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص879.
[14] ابن كثير، البداية، ج13، ص 123.

3- دور مصر ومدن ساحل البحر الأحمر في تمويل الحملات الصليبية :

لقد أدرك الصليبيون في فترة مبكرة أهمية مصر كمصدر رئيسي لتمويل الجيوش، لذلك توجه إليها بلدوين الأول وتوفي على أراضيها، وقصدتها الحملات الصليبية المتأخرة بغية السيطرة على هذا المورد الهام لمصلحة الممالك الصليبية وحرمان أعدائهم الشرقيين منها[1]. تودیبود، تاریخ الرحله، ص254.

وتأتي أهمية مصر في تلك الفترة من خلال دورها الاقتصادي والعسكري، إذ كانت مصانع القاهرة والإسكندرية تنتج الزجاج والفخار والأدوات المعدنية فضلاً عـن الكتان والمنسوجات المزركشة ، وكانت المحاصيل الوفيرة من الحبوب وقصب السكر تنمو في الدلتا وفي المناطق المزروعة، مع سيطرة مصرية قوية على تجارة السودان بما تشمله من ذهب وصمغ وريش نعام وعاج، وكذلك تجارة الشرق الأقصى المارة بالموانئ المصرية في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط[2].

بينما جاءت أهميتها العسكرية من خلال موقعها الإستراتيجي المسيطر على البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، ولما لهذا الموقع من دور مميز في الحفاظ على الأرض المقدسة، ونلفت انتباه القارئ إلى أن مصر في هذه الدراسة هي المنطقة الواقعة جنوب غزة والداروم ، والممتدة على البحر الأحمر من الشرق وعلى البحر الأبيض المتوسط من الشمال[3].

وكان أول الاتصالات التي تمت بين مصر والصليبيين تلك السفارة التي وصلت من مصر الفاطمية إلى الصليبيين الذين يُحاصرون أنطاكية عام 489هـ/ 1097م، والتي دعمت الصليبيين معنوياً وحرضتهم على الاستمرار في حصار أنطاكية والاستيلاء على جميع المدن التركية[4]، مع وعد بتلقي الدعم المصري من الذخيرة والجند في أقرب وقت ممكن[5]، ومنح السفراء هدايا من قبل الصليبيين الذين رأوا في الفاطميين أول إسفين يدق في نعش المدن

[1] سميث، تاريخ الحروب، ج 1، ص 80 ؛ براور، عالم الصليبيين، ص 65.
[2] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج2، ص38، 39.
[3] وليم الصوري، ج4، ص132.
[4] ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص68، 69؛ عوض، الحروب الصليبية، ص81.
[5] وليم الصوري، ج 1، ص 305.

الإسلامية في الشرق[1] ، وكان هذا الدعم نابعا من كره الشيعة الفاطميين في مصر للأتراك السنة الذين كانوا في حروب مستمرة معهم.

لقد كان حصار الصليبيين للقدس عام 491هـ/ 1099م دليلاً مؤكداً للمصريين على عدم جدوى التحالف مع الصليبيين الذين تقاتلوا مع مجموعة من الفرسان المصريين بالقرب من القدس وغنموا منهم مائة وثلاثة جياد [2]، بل إن المصريين كانوا قد أدركوا نقض الاتفاق مع الصليبيين منذ احتلال ريموند صانجيل لميناء طرطوس[3].

وخرجت دورية استطلاعية للصليبيين قبل معركة عسقلان عام 491هـ/ 1099م، وعثرت على قطيع كبير من الماشية قادم من مصر لإطعام جيش الأفضل الفاطمي فاستولت الدورية عليه[4]، وأطعم جميع الصليبيين الذين اشتركوا في معركة عسقلان وانتصروا بها وحصلوا على غنائم كثيرة منها[5].

ولم تكن الخسارة التي تعرض لها المصريون في عسقلان محبطة لهم، ففي عام 493هـ/ 1101م أُرسل جيش مصري لقتال الصليبيين والتقى معهم بالقرب من عسقلان حيث خسر المصريون المعركة، وحاز الصليبيون بقيادة الملك بلدوين الأول (1058 1118م) غنائم كثيرة ضمت الحمير والجمال والخيم وكافة صنوف الطعام من حنطة وطحين وخبز[6].

وهزم المصريون أمام الجيش الصليبي مرة أخرى بالقرب من عسقلان عام 498هـ/ 1105م، وغنم الصليبيون الخيم والجمال والحمير، بالإضافة إلى خمس وعشرين سفينة مصرية دفعتها عاصفة بحرية، وكانت مليئة بالمؤن والمعدات [7] .

وفي أثناء تجوال الملك بلدوين الأول (1058-1118م) شرق القدس عام 500هـ / 1107م ، عثر على قافلة مصرية متجهة إلى الشام واستولى عليها، وكانت تضم أحد عشر جملا محملاً بالثياب وأربعة جمال محملة بالتوابل وسبعة عشر جملاً محملة بالزيت والعسل[8]، ووقعت سفينة مصرية تجارية في يد الصليبيين عام 503هـ/ 1110م فحصلوا منها على مواد بقيمة مائة ألف دينار صوري[9].

واتجه جيش مملكة بيت المقدس بقيادة الملك بلدوين الأولBlawn1(1058-1118م) عام 511هـ / 1118م إلى مصر ، فدخل مدينة الفرما [10] التي هرب منها أهلها، واستولى بلدوين على الكثير من الأطعمة والخمور والحبوب والزيت واللحم والسمك والمجوهرات والذهب والفضة [11]، وشكلت هذه الحملة اكتشافاً مهماً للصليبيين، إذ أطلعتهم على الدور الاقتصادي والعسكري لمصر بالنسبة للمملكة الصليبية في حال تم الاستيلاء عليها اعتماداً على مناخها وموقعها.

ولعلم المصريين بأسر الملك بلدوين الثاني Bin II(1060-1131م)، تحركت جيوشهم إلى حصار مدينة يافا التي هب الصليبيون من بيت المقدس ومحيطها لنجدتها عام 515هـ / 1122م، فتقاتلوا مع المصريين وغنموا منهم كميات كبيرة من الذهب والفضة وشتى أنواع الأوعية الثمينة و الخيم و الفساطيط و الجياد والدروع والسيوف[12].

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 1، ص 356 ، لقد هدف الفاطميون من هذا التحالف إلى اقتسام بلاد ص356، الشام مناصفةً مع الصليبيين الذين رأوا فيهم وريثاً مستقبلياً للإمبراطورية البيزنطية، وقد توجهت سفارة صليبية صغيرة مع المصريين العائدين إلى مصر لعقد الاتفاقات وإبرام المعاهدات، للاستزادة حول هذا الموضوع راجع طاعة ، العلاقات السياسية، ص88، 96- 99، 104- 107.

[2] أعمال الفرنجة، ص116.

[3] Robert Tancred, p98,99 ؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص132.

[4] توديبود، تاريخ الرحلة، ص 338؛ أعمال الفرنجة، ص122؛ فوشيه، تاريخ الرحلة، ص78، 79؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م 39، ص 87؛ رنسيمان، تاريخ ،الحملات، ج 1، ص 448، 489؛ بردج، تاريخ الحروب، ص 123، 124.

[5] متى الرهاوي، تاريخ متى، ص 101؛ بردج، تاريخ الحروب، ص124.

[6] فوشيه، تاريخ الحملة، ص 119؛ ألبرت، تاريخ الحملة، م 51، ص204؛ وليم الصوري، ج 2، ص 237.

[7] فوشيه، تاريخ الحملة، ص139؛ وليم الصوري، ج2، ص264.

[8] ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص268.

[9] ابن القلانسي، ص274 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص584.

[10] الفرما هي مدينة على الساحل الشمالي من مصر ، وبها حصن على ضفّة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء لأنه من كل جهة حوله سباخ تتوجّل فلا تكاد تنضب صيفا ولا شتاء، وليس بها زرع ولا ماء يشرب إلا ماء المطر، ومن الفرما إلى تنيس نحو فرسخين في البحيرة، الإصطخري، المسالك والممالك، ص42؛ الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 255.

[11] ألبرت، تاريخ الحملة، م51، ص313؛ وليم الصوري، ج2، ص328.

[12] وليم الصوري، ج 2، ص 370-372.

وعلمت أساطيل البندقية بالغنائم التي استولى عليها الصليبيون في معاركهم الأخيرة مع المصريين، فاندفع أسطول من البنادقة ناحية الساحل الشامي وتقاتل مع أسطول مصري عام 516هـ / 1123م، وحصل منه على أربع سفن شواني والكثير من السفن القراقير وسفينة كبيرة، ثم اتجه نحو مصر حيث التقى مع عشر سفن مصرية تجارية محملة بالبضائع والتوابل والأقمشة الحريرية واستولى عليها[1].

وبنى الصليبيون في غزة قاعدة حربية لهم عام 548هـ / 1154م بهدف الاستيلاء على عسقلان والسيطرة على الداخل والخارج من مصر[2]، وساعدتهم في ما بعد على أسر الوزير عباس وعائلته أثناء هروبه من مصر، إذ سُلّم ناصر بن عباس من قبل فرسان الاسبتارية إلى مصر مقابل مبلغ ستين ألف دينار، واستخدم الاسبتارية هذا المال في زيادة تحصين بعض القلاع.[3]

واندفعت الأساطيل الصقلية عام 548هـ / 1154م إلى مدينة تنس المصرية حيث نهبت وسرقت الكثير من المؤن والغنائم والثروات والمعدات التي استمر جمعها ثلاثة أيام ثم عادت إلى عكا[4].

ودفعت مصر لمملكة بيت المقدس بعد عام 555هـ / 1161م أتاوة سنوية[5]، كما استفادت مملكة بيت المقدس من الصراع الدائر بين الوزراء الفاطمين شاور[6] وضرغام [7] ثم بين شاور و شيركوه[8] بأن أخذت عام 560هـ / 1166م مبلغ ستين ألف دينار [9]، وتلقت دعماً من شاور في عام 561هـ / 1167م بقيمة مائة ألف دينار سنوياً مع وجود شحنة لهم بالقاهرة [10]، ودفع لهم منها مباشرة 80 ألف دينار[11]، وعندما لم يتم دفع باقي الأموال، وخوفا من سيطرة شيركوه على مصر، حاصر الصليبيون مدينة بلبيس [12] ونهبوها [13]، ثم توجهت سفن الصليبيين لحصار الإسكندرية التي نُهبت بساتينها المليئة بالثمار والفاكهة والنباتات الطبية[14]. وهنا يلاحظ اعتماد الصليبيين على الموارد المؤقتة من الغزوات والغارات عند إدراكهم لخسارتهم للموارد الدائمة والمستمرة من الإتاوات والاتفاقيات.

وعزم الملك عموري Amaury (1136-1174م) بعد ذلك على الاستيلاء على مصر عام 564هـ / 1169م ، واتفق مع بيزنطة على ذلك إذ دخلت السفن الصليبية مدينة تنس واستولت على كميات كبيرة من سمك نهر النيل، ثم توجهت إلى دمياط التي زودت بساتينها الصليبيين بالكثير من الفواكه والثمار[15].

واضطرت مصر في عام 568هـ/ 1173م إلى دفع مبلغ ستين ألف دينار للصليبيين في القدس لتخليص بعض أسرى معركة الرملة [16]، وعاد الصليبيون عام 573هـ/ 1178م إلى مصر واستولوا على مدينة تنس المصرية ونهبوها [17] ، وتكررت غارات الصليبيين على تنس و العريش[18] عام 576هـ/ 1181م، إذ حصل منها الصليبيون على الكثير من الغنائم والأسلاب بالإضافة إلى استيلاء الصليبيين على سفينة مصرية تجارية في نفس العام[19] .

---

[1] وليم الصوري، ج2، ص373- 375؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 691؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 197، 198.
[2] الاعتبار، ص10.
[3] ابن القلانسي، ص 507؛ الاعتبار ، ص 27؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 9، ص 213، 214؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 2، ص 424، 425.
[4] ابن القلانسي، ص508؛ يوحنا، أعمال جون، م28، ص126؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 210؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 27.
[5] براور، عالم الصليبيين، ص 57.
[6] شاور بن مجير : أَبو شُجَاع السَّعْدِي وَهُوَ الملقب أمير الجيوش وزير الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، وقد انتزع وزارته من العادل بن صالح بن رزيك، الروضتين، ج 1، ص 406، 407.
[7] ضرغام بن سوار الملقب بالمنصور الذي كان نائب الباب عند الخليفة العاضد، وقد استولى على الوزارة من شاور وقتل ابنه طئا، الروضتين، ج 1، ص 407.
[8] شيركوه هو أسد الدين بن شاذي بن بلدة دوين في بلاد أذربيجان وهو من الأكراد الروادية، وقد خدم في عسكر نور الدين زنكي برفقة أخوه نجم الدين أيوب، الروضتين، ج 1، ص 403، 404.
[9] ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 327 ؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص247.
[10] ابن الأثير، الكامل ، ج 9، ص 329 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب ، ج 1، ص 158؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص44؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص253.
[11] ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص339؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص255.
[12] بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام، الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 479.
[13] وليم الصوري، ج 4، ص 107؛ يوحنا، أعمال ،جون، م28، ص 264 265؛ ابن الأثير، الكامل 98، ص 338 ابن العديم زبدة الحلب، ص350؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 157؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 45 ؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 255.
[14] وليم الصوري، ج4، ص71.
[15] وليم الصوري، ج 4، ص 118 120.
[16] ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 61
[17] عمران الحملة الخامسة، ص78.
[18] العريش: مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 113.
[19] عمران، الحملة الخامسة، ص80.

وكان القائد الصليبي أرناط قد قصد مدينة عيذاب[1] عام 577هـ/ 1182م، فنهبها ثم نهب وسلب سواحل البحر الأحمر[2]، واستولى على سفن تجارية عظيمة محملة بالبضائع قادمة لمصر من عدن والهند[3] ، وفي عام 581هـ / 1186م قام إرناط بالاستيلاء على قافلة مصرية كانت متجهة من مصر إلى الشام وعلى متنها الكثير من الأموال والبضائع.

وأرسلت مصر للمسلمين خمس سفن محملة بالأسلحة والمعدات والميرة عام 583هـ / 1188م من أجل المساعدة في حصار صور، فاستولى عليها المركيز كونراد مونتفرات في صور وضمها إلى أسطوله[4]، واستولى الصليبيون عام 586هـ/ 1191م على سفينة مصرية بالقرب من عكا وكانت مليئة بالمؤن والمعدات ومختلف أنواع الأسلحة التي حملت على مئة جمل [5]، وذلك أثناء ما كان صلاح الدين يرسل طعاما إلى الصليبيين في أنطاكية يكفيها مدة ثلاث سنوات بحسب الاتفاق بينه وبين حاكمها[6] .

واستولى الصليبيون عام 587هـ / 1192م على قافلة مصرية بالقرب من الخليل كانت مملوءة بكميات كبيرة من الذهب والفضة والمؤن والملابس الحريرية والقمح والطحين والتوابل والسكر والشمع[7] محملة على سبعة الآف جمل[8].

وحصل الملك ريتشاردRichard I(1157-1199م) على مؤن ومعدات وخيول المسلمين في حصن الداروم[9] عندما استولى عليه عام 587هـ/ 1192م[10]، ولم يترك الحامية تغادر إلا بعد أن دفعت فدية مجزية[11]، وكشفت هذه الغنائم للملك ريتشارد الوضع الاقتصادي المميز الذي كانت عليه ،مصر ، لذلك تبنى الصلح بعد ذلك مع صلاح الدين الأيوبي وعاد إلى أوروبا بغية تجهيز حملة عسكرية تكون مصر هدفها الأول، ونُقلت هذه الصورة إلى ملوك وأمراء أوروبا فقصدت الحملات الصليبية بعدها مصر بشكل مباشر.

وغزت سفن صليبية كانت منتشرة في البحر تبحث عن فرص سانحة لتحصيل بعض الغنائم عام 600هـ / 1204م مدينة الفوة[12] المصرية، ونهبتها واستولت منها على العديد من المؤن والمعدات [13]، وفي عام 602هـ / 1206م نهب الأسطول القبرصي السفن المصرية التي كانت تسير بالقرب من يافا وحصل منها على مؤن ومعدات[14]، وعاد الصليبيون من قبرص الكرة عام 607هـ / 1211م بأن أغاروا على دمياط وحصلوا منها على مؤن وأسلاب[15].

---

[1] عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر) هي القلزم (البحر الأحمر) هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى صعيد مصر ، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص171.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج9، ص468؛ براور، عالم الصليبيين، ص59.

[3] رنسيمان، تاريخ ،الحملات، ج 2، ص 496.

[4] ويندوفر، ورود التاريخ، م39 ، ص 316 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 19؛ ذيل وليم الصوري، ص52؛ تاريخ سمباط الأرمني ، م35 ، ص 295؛ ابن شداد، الأعلاق، ص 73؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 185؛ رنسيمان تاريخ الحملات، ج2، ص509.

[5] ذيل وليم الصوري، ص135؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص327. (7) أمبرويز، صليبية ريتشارد، م32 ، ص 158 - 160؛ الحرب الصليبية الثالثة، ج 1، ص 151؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 336 ، ورد في مصادر أخرى أن السفينة قد غرقت قبالة ساحل عكا ولم يستفد منها أحد، ذيل وليم الصوري، ص205.

[6] تاريخ سمباط الأرمني، م35، ص300.

[7] الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 220 - 223؛ الفتح القسي، ص 309 310؛ ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 108؛ الروضتين، ج4، ص 304 305 ابن ،واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 383، 384؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص348؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 106.

[8] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص384.

[9] الداروم قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص424.

[10] الحرب الصليبية الثالثة، ج 2، ص 141 ، 184؛ الفتح القسي، ص 308؛ ويندوفر، ورود التاريخ، م 39، ص 383 الروضتين، ج4، ص 300؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص348؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 105.

[11] ويندوفر، ورود التاريخ، م39، ص383.

[12] الفوة بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة، وهي ذات أسواق ونخل كثير ، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص280.

[13] ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 203؛ عمران الحملة الخامسة ، ص 81، 97؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 142.

[14] ابن الأثير ، الكامل، ج 10، ص 263؛ عمران، الحملة الخامسة، ص 101 .

[15] عمران، الحملة الخامسة، ص 103.

ونهب الصليبيون في عام 614 هـ / 1218 معسكر الملك العادل[1] في دمياط وكان مليئاً بالأموال والمؤن و المعدات [2]، وبنوا جسوراً وأبراجا عائمة على ظهر السفن لكي يستولوا على برج المدينة الذي نُهب كل ما فيه من سلاح وعتاد ومؤن[3]، كما نهبوا الانسحاب إلى أوروبا إلا بعد أن أعاد الملك العادل تموينها بلا مقابل[4].

وسقطت دمياط في يد الصليبيين عام 646هـ / 1249 و نهبت بالكامل [5]، على الرغم من فرار أهلها منها وحرقهم جزءاً كبيراً من أسواقها[6]، ثم تلا ذلك استيلاء الصليبيين على معسكر فخر الدين [7]في المنصورة عام 647هـ / 1250م فحصلوا منه على غنائم كثيرة .[8]

خريطة رقم (٥) مصر في القرن الثاني عشر

رنسيمان، تاريخ الحملات، ج3،ص421

[1] الملك العادل هو سيف الدين أبو بكر أحمد بن نجم الدين أيوب، وقد وحد الدولة الأيوبية عقب تنازع أبناء أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي وتوفي 614هـ / 1218م، طقوش، تاريخ الأيوبيين،232-248.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 306؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص Madden, The Concise 80 History, p140.

[3] ويندوفر، ورود التاريخ، م39 ، ص 764 ؛ تاريخ الرهاوي، ص 275؛ تاريخ سمباط الأرمني، م35، ص319؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 198؛ عمران، الحملة الخامسة، ص204.

[4] ويندوفر، ورود ،التاريخ، م 39، ص791 ؛ رنسيمان تاريخ الحملات، ج 3، ص 215.

[5] تتمة كتاب وليم الصوري ص 144 ، 163، 164؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 179؛ ابن كثير، البداية، ج 13، ص 19177 , Madden, The Concise History.

[6] رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 314.

[7] فخر الدين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح أيوب في مصر، وقد قاد الجيش بأمر من الملك الصالح وبسبب مرض الملك، طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص381.

[8] Madden, The Concise History, p161 ، لقد كرر الصليبيون الأخطاء التمويلية نفسها عندما خسروا مصر في الحملة السابعة للاستزادة حول هذا الموضوع راجع تتمة كتاب وليم الصوري، ص 185-188؛ رنسيمان، تاريخ الحملات، ج 3، ص 323.

خاتمة

و في الأخير ما يمكننا و التأكيد عليه هو أهمية دراسة تمويل حركة الاسترداد والحملات الصليبية في تاريخ العالم الإسلامي والغربي. فقد كشفت أن هذا تمويل هذه الحركات لم يكن مقتصراً على مجرد توفير الأموال لتجهيز الجيوش وإرسالها إلى الحروب، بل كان يمثل عنصراً حيوياً في تشكيل السياسات وتوجيه الأهداف والتحالفات.

من خلال المقارنة بين مصادر التمويل وطرق جمع الأموال التي استخدمتها الجانبين، وفهم دور الدولة والمؤسسات الدينية والمالية، تبين لنا أن هناك تشابهات واختلافات كبيرة بين كيفية تمويل الحركة الإسلامية والحملات الصليبية. ففي العالم الإسلامي، كانت الزكاة والصدقات والضرائب تلعب دوراً رئيسياً في التمويل، بينما كانت في العالم الغربي، تعتمد على التبرعات الخاصة ودعم الكنائس والملوك والنبلاء.

ومن المهم أيضاً أن نفهم كيف أثرت التحولات السياسية والاقتصادية والثقافية على استراتيجيات التمويل لكل جانب. فتغيرت مصادر التمويل وكميتها بناءً على تلك التغيرات، مما أثر بشكل كبير على مسار الصراعات والتحالفات في الفترة الزمنية المعنية.

تظل حركة الاسترداد والحملات الصليبية مثار دراسة واسعة، وتشكل نقطة محورية في فهم العلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي. ورغم مرور العصور، إلا أن دراسة تمويل هذه الحركات تبقى ضرورية لفهم الديناميكيات التاريخية وتأثيرها على شكل العالم الحديث.

و توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كانت مفيدة في فهم ومعرفة ما يخص الحروب الصليبية التي دارت رحاها في فترة زمنية من تاريخ الأمة الإسلامية.

و إن دراسة هذه الحروب وفق مفاهيم اقتصادية، بينت الأسس والركائز الاقتصادية التي قامت على أساسها الإمارات الصليبية في أراضي الشرق الإسلامي، وساهمت في الحفاظ على تماسك القوة الصليبية لمدة تزيد على مئة وخمسين عاماً.

وقد كانت بداية هذه الركائز التمويلية متمثلة بدعم المؤسسة الكنسية التي قامت بتحريض جموع الصليبيين في أوروبا على التوجه إلى الأرض التي تفيض لبنــا وعسلاً، مقابل حصول هؤلاء المقاتلين على الإعفاءات الكنسية من الضرائب والرسوم وإسقاط الديون عنهم، وإبقاء ممتلكاتهم في الغرب تحت حماية الكنيسة. وعقدت الكنيسة الاتفاقيات مع بيزنطة من أجل حصول الصليبيين المقاتلين على قواعد إمداد وتزويد للجيوش أثناء تنقلها من أوروبا إلى الشرق الإسلامي، متناسيةً بذلك التضارب المذهبي بينها وبين بيزنطة، كما عقدت بعض الاتفاقيات مع المدن التجارية الإيطالية لتوفير خطوط تمويل بحري باتجاه الشرق.

وعندما وجدت المؤسسة الكنسية ضعفاً واضحاً في عمليات تمويل الجيوش في الحملات الصليبية القادمة من أوروبا أو التي تنطلق من الإمارات الصليبية، بدأت بتشكيل التنظيمات الدينية في الشرق التي تؤمن للكنيسة موارد ثابتة تدعم من خلالها الحملات الصليبية وتوجه الإنفاق من خلالها نحو الاتجاه الصحيح، وحازت هذه التنظيمات على أراض وأموال كبيرة في الشرق لدرجة أنها أصبحت مثل البنوك والمصارف التي تمارس دور الإقراض والتمويل للعديد من الأمراء والزعماء في الشرق.

كما أنها استخدمت رجال الدين في كثير من الأحيان لقيادة الحملات الصليبية بدلاً من توظيفهم فيها لرفع الروح المعنوية، وإعطائها الصبغة الدينية التي تدفع بالمقاتلين للقتال.

فحققت هذه المدن التجارية أرباحا كبيرة وفق قوتها وعلاقاتها مع الأمراء الصليبيين في الشرق.

وجاءت مساهمة دول أوروبا الشرقية في الحملات الصليبية بشكل مؤثر في الحملات الصليبية الأولى، إذ وفّرت المدن الهنغارية والبلغارية والبيزنطية الأسواق لعموم الجيوش الصليبية، وقد حظيت الجيوش الصليبية بالمؤن والأموال في كثير من الأحيان عبر عمليات السلب والنهب والسرقة التي شنتها على المدن الهنغارية والبلغارية والبيزنطية.

وكانت دول أوروبا الشرقية من أكثر الدول تمويلاً للحملات الصليبية الإمبراطورية البيزنطية التي رأى ملوك وأمراء أوروبا في الشرق والغرب فيها المعين الذي لا ينضب من الأموال والمؤن والأسلحة، وقد حصلت

الجيوش الصليبية الأولى منها على الكثير من التمويل الذي أوصلها إلى السيطرة على بيت المقدس، كما ظلت بيزنطة طوال الوجود الصليبي في الشرق الحليف المتوقع لأي حاكم صليبي يُريد السيطرة على باقي الإمارات الصليبية، أو التوسع في السيطرة على المدن الإسلامية الأخرى.

و مولت منطقة الأناضول الجيوش الصليبية الأولى بالمواد والمؤن من خلال أسواقها وبساتينها، إلّا أن هذا لم يُعفها من أن تكون هدف الحملات الصليبية نفسها، أو هدفاً للإمارات الصليبية التي أُنشئت فيها أو بالقرب منها، بسبب تنوع المكون البشري والديني الموجود فيها من الأرمن واليونان والسريان والأتراك، ولغنى أراضيها وتنوع محاصيلها من جهة، ولكونها تقع على طريق الجيوش الصليبية التي كانت تعاني من نقص التمويل وغياب القيادة الموحدة لها من جهة أخرى.

ولكون الجزر التي تقع في البحر الأبيض المتوسط هي على طريق الجيوش الصليبية فقد كانت محطة تمويل وإعادة تزويد للجيوش الصليبية المتجهة للشرق وقد عرّضها هذا في كثير من الأحيان إلى النهب والسرقة والابتزاز الذي مارسته تلك الجيوش للحصول على التمويل المناسب لها، وكانت قبرص في طليعة هذه الجزر بسبب قربها من الأرض المقدسة وعلاقتها المضطربة مع الإمبراطورية البيزنطية.

و دُعيوا بالصليبيين لأن المقاتلين إرتدوا شارة الصليب على الكتف، أو السترة، أو العباءة - كانت هناك بعض الفوائد العملية التي إستحصل عليها المواطن الاوروبي العادي جراء مشاركته بحملات الدفاع عن الصليب، على الأقل بحلول القرن13 م. وشملت الفوائد، تأخير الخدمة الإقطاعية المقدمة من الفلاح للسيد الإقطاعي، تسريع البت بالدعاوى القضائية قبل الإلتحاق والمغادرة مع الحملات المتجهة إلى الأراضي المقدسة، إلى جانب الإعفاء من بعض الضرائب والرسوم، وتأجيل سداد الديون، والتخلي عن أحكام سابقة متعلقة بالحرمان الكنسي، و بالنسبة للعصور الوسطى من نواحي عديدة - عاصفة كاملة من الغضب الروحي، والمكاسب الشخصية، والدعاية السياسية والدينية المتمأسسة، ضغط الأقران، الإحتمالات المجتمعية، والتعطش للمغامرة، والتي اجتمعت كلها لإلهام الناس وحثهم لمغادرة منازلهم والبدء في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى وجهة مجهولة لا يعرفون عنها شيئًا بحيث قد يحصلون على المجد أو الموت أو الموت فقط. لم تتبدد الحماسة عل الإطلاق، إذا كان هناك من شيء قد ساهم بها، فإن نجاح الحملة الصليبية الأولى واستعادة القدس في 15 تموز / يوليو 1099م، قد ألهم المزيد من النفوس "بحمل الصليب".

أما المدن الإسلامية فقد ظلت طوال فترة الوجود الصليبية مصدر تمويل رئيسي اعتمدت عليه الإمارات الصليبية من خلال أخذ الأتاوات منها أو السيطرة عليها، أو جعلها مصدراً مالياً مؤقتاً لرفد خزينة الصليبيين من خلال عمليات السلب والنهب والسرقة.

وقد كانت المدن الإسلامية القريبة من الإمارات الصليبية الشمالية الأكثر تعرضا لهذه الغزوات، وخاصة حلب وحماة وحمص وما حولها من القرى والأرياف، كما استغل الصليبيون الموقع الحسن الذي كانت عليه إماراتهم الصليبية المعززة بالقلاع والحصون في الشرق الحصول على العوائد الضريبية من التجارة البرية والبحرية والزراعة التي دعمها الصليبيون باستمرار وخاصة زراعة قصب السكر والفواكه والحبوب.

وعوّض الصليبيون نقص القوى البشرية الذي كانوا عليه في القدس بعد الحملة الصليبية الأولى باعتمادهم على العنصر البشري المسيحي الشرقي من خلال عمليات التهجير القسري، وجاء اعتمادهم على الموانئ الساحلية ومحافظتهم عليها لإنشاء قواعد تستقبل الإمدادات الأوروبية المستمرة على الشرق، خاصة تلك الموانئ المعروفة باتساعها وركود مياهها وقلة تأثرها بالعواصف البحرية كموانئ صور وعكا وعسقلان وطرابلس.

وقد حاول الصليبيون السيطرة على مصر من خلال حملات عدة وذلك بعد اكتشافهم للقوة الاقتصادية التي كانت عليها مصر، وتنوع مواردها الاقتصادية التجارية والزراعية والصناعية، إذ كانت مصر دائما تقف في وجه المد الصليبي خاصةً بعد وحدة العالم الإسلامي.

توسعت فكرة الحملات الصليبية لتصل إلى إطلاق مشاريع تحريرية جديدة وجريئة، مثل تحرير إسبانيا من المغاربة الموريون (حرب الإسترداد)، أو شن هجمات على الأقليات الدينية في أوروبا مثل اليهود والوثنيين

والهراطقة (الحملات الصليبية الشمالية)، كما تم تأسيس تنظيمات رهبانية عسكرية خصصت للدفاع عن الأراضي المكتسبة في الشرق والحجاج المتوجهين إلى بيت المقدس، كما فرضت الضرائب باستمرار لتمويل المجهود الحربي للحملات التي تلت.

تحقيق الجيوش الإسلامية والمسيحية للعديد من النجاحات والإخفاقات في بعض الأحيان، أبقت التطورات الجيوسياسية في الشرق اللاتني رسامي الخرائط منشغلين دائمًا بوضع الخرائط التي كانت تتغير دائمًا بتغير رقعة السيطرة والنفوذ على مدار القرون الاربعة التالية.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر العربية :

- ابن الأثير ،تاريخ الكامل، ج8،المطبعة الأزهرية المصرية للنشر،مصر،2018.
- ابن العديم الحلبي الحنفي، زبدة الحلب من تاريخ حلب،دار العلمية ،بيروت ،لبنان،ط1996،1.
- ابن شداد عزالدين، الأعلاق،وزارة الثقافة السورية،2009 ،دمشق.
- ابن كثير، البداية، ج 12،مكتبة المعارف ،بيروت،1991.
- ألبرت فون آخن، تاريخ الحملة،ترمحمد حمدان أحمد،دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع،2015.
- أنا كومنينا،الألكسياد،تر حسن حبشي،تر المشروع القومي إ/ جابر عصفور،المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة،2004.
- انتوني بردج، تاريخ الحروب،دار قتيبة للطباعة و النشر،2014.
- بن سالم ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،ج2،تح د جمال الدين السيال، دار الكتب و الوثائق القومية المطبعة الأميرية،الاسكندرية،2009.
- تاريخ متى الرهاوي،متى الرهاوي،تر/د محمود محمد الرويضي،دروب ثقافية للنشر و التوزيع،2012.
- رنسيمان تاريخ الحملات،تر نور الدين خليل،ج 2،ط1994،1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.
- وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، فيتلوس،تر سعيد عبدالله البيشاوي، دروب ثقافية للنشر و التوزيع،عمان،2011.
- وليم الصوري، تاريخ الحملة؛ج2،تر حسن حبشي،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،1992.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5،دار صادر للنشر ،بيروت،2006.

المصادر الأجنبية :

- Alfonso VII, 226–27; González, Fernando III, 1: 490–92.
- Antonio Ballesteros, “Las Cortes de 1252,” Anales de la junta para ampliación de estudios e investigaciones científicas 3 (1911): 114–43, art. 44; Antonio López Ferreiro, Fueros municipales de Santiago y de su tierra (Santiago de Compostela: Imprenta del Seminario, 1895), 386, art. 69; Fuero real 1, 5, 4; O'Callaghan, Cortes, 132–33, and The Learned King, 53–54.
- Auvray, Grégoire IX, 1: 36–38, 742–46, nos. 70–71 (5 May 1227), 1327 (26 May 1233), 1328–29 (reg.); MH, 1: 60–61, no. 35 (21 October 1234); Caetano de Sousa, Provas, 1: 50-54, no. 22 (January 1238); Gorosterratzu, Rodrigo, 455, no. 140 (6 May 1238).
- Bisson, Conservation, 81–85, 201, no. 3 (c. 1174); Sánchez Casabón, Alfonso II, 264–65, no. 184; Kehr, Papsturkunden, 1: 559, no. 238 (4 September 1191.
- Chronica Naierensis, 156, Bk. 3, ch. 21; Historia Roderici, 78, ch. 43; Chronica la- tina, 81, 89, 112, ch. 38, 46, 70; Al-Ḥulal, 95; González, Fernando II, 390, and Fernando III, 1: 125–27, 177, 479; Grassotti, Instituciones, 2: 755–56, 763–66.

- Cortes de los antiguos reinos de León y Castilla, 5 vols. (Madrid: Real Acade- mia de la Historia, 1861–1903).
- Crónica del Obispo Don Pelayo, 73, 80; Historia Silense, 197-98, 202, 206–7, ch. 93, 95, 99–100, 104–5; Al-Himyarī, Kitāb, 324; Alexandre Bruel, Recueil des chartes de l'Abbaye de Cluny, 6 vols. (Paris: Imprimerie Nationale, 1876–1903), 4: 809; Chroni- con Compostellanum, ES 23: 327; Lucas, Chronicon, 4: 96; Dozy.
- Eloy Benito Ruano, "La Orden de Santiago y el imperio latino de Constan- tinopla," Estudios santiaguistas (León: Colegio Universitario de León, 1978), 29–60, esp. 53–60, nos. 1–5; Todesca, "Monetary History," 163.
- Goni Gaztambide, Historia, 171–78, 644, no. 2 (24 September 1238); Quintana Prieto, Inocencio IV, 2: 519–20, no. 559 (13 November 1248); José Font Rius, Rationes Decimarum Hispaniae (1279–1280), 2 vols. (Barcelona: CSIC, 1946-47). 1: viii.
- González, Alfonso VIII, 2: 522–24, no. 344 (1180), and Alfonso IX, 2: 99–100, 264-65, nos. 65 (29 March 1193), 189 (25 September 1204); Mansilla, Honorio III, 316-17, no. 436 (10 April 1223); Rodrigo, Historia, 262–63, Bk. 8, ch. 4.
- Gorosterratzu, Rodrigo, 468–69, no. 177 (15 April 1247); Berger, Innocent IV, 1: 377, no. 2533; Mansilla, Iglesia, 57; Goñi Gaztambide, Historia, 184; Ana Rodríguez López, "La política eclesiástica de la monarquía castellano-leonesa durante el reinado de Fernando III (1217–1252)," Hispania 48 (1988): 37; Clementino Sanz y Díaz, Reseña cronológica de algunos documentos conservados en el archivo de la catedral de Cuenca (Cuenca: Calasanz, 1965), no. 77 (30 April 1250).
- Hernández, Cartularios, 530, no. 644 (5 April 1208); González, Alfonso VIII, 2: 774–75, no. 451 (21 April 1186), and 3: 716–17, nos. 995–96 (15 February 1216); Mansilla, Hon- orio III, 67, 74, nos. 84 (25 August 1217), 93 (25 September); Linehan, Spanish Church, 111.
- José María Lacarra, "Dos tratados de paz y alianza entre Sancho el de Peñalén y Moctadir de Zaragoza (1069 y 1073)," Homenaje a Johannes Vincke, 2 vols. (Madrid: CSIC, 1962–1963), 1: 122–34, and Documentos, 1: 472, nos. 2 (1091), 3, 94 (1086–1094); Menéndez Pidal, España, 1: 206, 356, 376–88, 941–44, and 2: 712–13; Kehr, "Cuándo y cómo," 304, 319-20; Ibn al-Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, in al-Maqqarī, His- tory, 2: xxix.
- Mansilla, Honorio III, 162–63, 414–16, 440–41, nos. 210 (16 March 1219), 559–60 (3 June 1225), 585–86 (20 October).
- Olivia Remie Constable, Trade and Traders in Muslim Spain: The Commerical Realignment of the Iberian Peninsula, 900–1500 (Cambridge: Cambridge University Press, 1994).
- Rivera Recio, Toledo, 222–24, n. 74 (8 May 1188); Lucas, Chronicon, 4: 113, and Crónica, 421, ch. 88; Goñi Gaztambide, Historia, 134–35; Linehan, Spanish Church, 5–8; Brundage, Canon Law and the Crusader, 147, 185–87.
- Rodrigo, Historia, 204–5, Bk. 6, ch. 22; al-Maqqarī, History, 2: 262–64; Ibn al- Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, ibid., 2: xxix-xxxi.
- The Tibyān, 130–31, ch. 8; Ibn Khaldūn, Histoire, 2: 81; al-Maqqarī, History, 2: 270, Ibn al-Kardabūs, Kitábu-l-iktifá, ibid.
- Thomas N. Bisson, "An 'Unknown Charter' for Catalonia (d. 1205)," in Al- bum Elemér Mályusz (Brussels: Librairie Encyclopedique, 1976), 61–76, and Conserva- tion, 88–96; CDACA, 8: 106, no. 39 (1 March 1209); Zurita, Anales, 1: 313–14.
- González, Alfonso IX, 2: 236–37, no. 167 (March 1202), and Alfonso VIII, 3: 702-4, no. 986 (4 September 1215); Procter, Curia, 54-57, 82–85; O'Callaghan, Cortes, 133-35.

فهرس

فهرس المحتويات	الصفحة
الاهداء	
الشكر	
مقدمة	أ- د
الفصل الأول : تمويل الاسترداد و الحملة الصليبية	
تمهيد	6
1- النفقات العسكرية والإيرادات الملكية العادية	8
2- الرسوم البابوية لتمويل الحملات الصليبية إلى الأراضي المقدسة	10
3- رسوم التيريكاس وغيرها من الرسوم الملكية على الدخل الكنسي	13
4- الضرائب غير العادية: Monetaticum ,Bovaticum ,Peiturm	17
5- منبوذات(الجزيات) القرن الحادي عشر	21
6- منبوذا القرنين الثاني عشر والثالث عشر	24
7- القروض	27
8- إمبريستيتوس	30
خلاصة الفصل	
الفصل الثاني : مصادر تمويل الحملات الصليبية في الشرق الإسلامي	
تمهيد	35
1- موارد مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية من المدن الشامية :	36
2- دور موانئ الساحل الشامي في تمويل الحملات الصليبية :	43
3- دور مصر ومدن ساحل البحر الأحمر في تمويل الحملات الصليبية :	52
الخاتمة	59
قائمة المصادر و المراجع	64
الفهرس	72